روايات عبير ٢٠٠٠

بيني جوردان

لعبة الحب

ترجمة
رشا القوتلي

www.elromancia.com

رومانسية

دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة

٢٠٠٤

لعبة الحب

بيني جوردان

ترجمة رشا القوتلي

« أنت تحب أن تلعب لعبة خاصة بك ووفقا لأنظمتك وقوانينك ، أليس كذلك لوك ؟

لكن توجد إمرأة واحدة لن تنضم إلى تلك اللعبة »

لم يكن لدى ناتاشا أي خيار عندما طلب منها إيما - ابنة عمتها - المساعدة لإنقاذ خطط الزفاف .

لكنها عرفت أن الوقوف في وجه لوك شيء محفوف بالمخاطر. فهو جذاب وخطير .. وسرعان ما انجذبت ناتاشا إليه ولم تستطع طرده من مخيلتها بسهولة .. وعرفت فجأة بأنها لا تريده أن يبتعد عنها ...

www.liilas.com

لعبة الحب

بيني جوردان

ترجمة : رشا القوتلي

– « هل تشعرين بالبرد ؟ »

يجب أن يعرف أنها ليست كذلك ، أخذ يداعبها بأصابع يده وهي تريد الإفلات منه .

همس لها :

– « تبدو إبنة عمة العروس المحتشمة اليوم مثالا عما تعتقده جيلُ والدة ريتشارد » .

كان صوته ساخرا ، ثم أصبحت نبراته أكثر خطورة وحدّة .

وتابع قائلا :

– « بالرغم من أننا عندما تقابلنا في آخر مرة ، كنت مثالا لإمرأة مستهترة ، إمرأة كلها عاطفة ورغبة » .

الفصل الأول

– «ناتاشا» ، أعتقد أنني بحاجة لمساعدتك .

رفعت ناتاشا لاسي رأسها عن عملها وهي تبتسم لابنة عمتها وأجابت :

– ماذا تريدين هذه المرة ..؟ انتقاد آخر على ثوب اشبينة العروس؟ حبيبتي ، إذا كنت تريدين رأيي بصراحة ، فأنت لا تستطيعين جعل أخت ريتشارد تبدو مختلفة عما هي عليه ، أن يكون مظهرها أقل بدانة وأكثر طولا .. يالها .. فتاة ، إنني أتذكر كيف تشعر المرأة عندما تكون في سن الرابعة عشرة . وإذا أضفت إلى ذلك تعلقها الكبير بريتشارد ، فإنها لن تكون مسرورة من زواجك ».

أجابت إيما لاسي بسرعة : «لا فالأمر ليس كذلك بالنسبة لسارة».

عبست ناتاشا قليلاً . فمنذ ثلاث سنوات وأيما ابنة عمتها أكثر من أخت لها ، فهما عاشتا في مدينة واحدة ، واسرتاهما أصدقاء حميمون عدا كونهما أقرباء .

ولكون ناتاشا هي الأكبر سنا ، فإنها أكثر رصانة وأكثر منطقية . يمكنها التحكم بعواطفها ، كما يمكن التنبؤ بمزاجها ، بينما إيما ذات عواطف متغيرة ومزاج متقلب .

ولعل السبب في هذا المزاج المتقلب وهذه التصرفات المتهورة، هو موت والدها وهي لا تزال في الخامسة عشرة ، وذلك ما قادها إلى مأزق بعد مأزق أو في بعض الأحيان إلى حدوث صدع بين الفتاتين . وأصرت إيما بطبيعتها المتمردة على ترك المدرسة في عمر السادسة عشرة ، بينما تابعت ناتاشا دراستها الجامعية شاقة طريقها برصانة وعزم .

ورغم طبيعة إيما ، فقد رمت وراء ظهرها كل ما سبق من حياتها ، عندما أحبت ريتشارد تمبلكومب ، وأصبحت سعادتها تفوق الوصف . ولم تكن عائلة تمبلكومب سعيدة من علاقة ريتشارد وإيما ، لسبب واحد هو أن عائلة لاسي لا تبدي اهتماما بالأمور الدينية والكينسية ، على عكس عائلة تمبلكومب .

عاشت العائلتان معا لعدة أجيال ، إلا أنهما كانا في عالمين مختلفين ، فعائلة لاسي تعمل في التجارة ، وهو العمل الذي أنشأهُ غاسبر لاسي في ضواحي المدينة أكثر من سبعين عاما قبل أن يصبح أعظم موظف في المنطقة . أما عائلة تمبلكومب ، فإنها تفخر بترفعها عن الأمور المادية كالتجارة ، واهتمامها بالأمور الدينية حيث تعود صلتها بالكنيسة إلى زمن بعيد ، ووالد ريتشارد كاهن كبير ، يعتبر مع زوجته من الكبار في المجتمع الكنيسي المحلي ، وعلى ذلك فقد أصبح من المسلم به أن ريتشارد سيتبع خطا والده .

عصفت برأس ناتاشا فكرة جعلت قلبها ينقبض فجأة ، الزفاف سيكون بعد أقل من أسبوع .

وقالت لإيما :

– «ليس لديك أفكار أخرى ، أليس كذلك ؟» .

هزت إيما رأسها وأجابت : – «لا ، لكن من المحتمل أن يكون لدى ريتشارد عدة أفكار إذا أخبره لوك عما فعلتُ» .

– «لوك» سألتها ناتاشا وهي تسحب بعناية الخبير المتمرس ، خيطا في الثوب الذي بين يديها . من السخافة أن تقضي فتاة

مثلها سنوات عديدة تجول العالم كمحررة إخبارية ، لقد اكتشفت وهي في سن الخامسة والعشرين أن الإقامة في هذه البلدة الصغيرة هو المكان الذي ترغب العيش فيه ، وأن العمل في حقل الأقمشة هو كل ما ترغب به .

أسست لنفسها أسما معروفا الآن حيث تشير مجلتان مشهورتان إلى جودة البضاعة لديها . فازداد الطلب على النسيج الذي تنتجه الشركة واستطاعت إقناع والدها بإنتاج الأقمشة اللازمة للكنيسة .

وكررت ثانية :

– «لوك؟ ، لا أعتقد أن ....»

– «إنه ابن عم ريتشارد» . أجابت إيما والدموع تملأ عينيها . «أنت لا تعرفينه ، لكنه نموذج حقيقي لعائلة تمبلكومب ، فهو ضيق التفكير ، ومتعصب ، ينتظر أقل هفوة مني لجعل ريتشارد يلغي خطوبتنا» .

ردت «ناتاشا» كيْ تريح ابنة عمتها «إيما إن ريتشارد في السابعة والعشرين الآن ، وهو مفتون بك بشكل واضح . لا أستطيع أن أتخيل أن لوك..»

– «أنت لا تفهمين الموضوع ..» قاطعتها إيما ، وتابعتها بطريقة مسرحية :

– « لقد شاهدني لوك أغادر منزل جيك بيندراغون ».

بدأت ناتاشا تستوضح الأمر وشعرت بغصة لكنها لم تدع إيما تلاحظ ذلك .

وصل جيك بيندراغون إلى المدينة منذ أكثر من سنة ، وسرعان ما انجذبت إليه ، فقد أعجبها مظهره الدال على الذكاء ، وبشرته السمراء ، وشعره الأسود المجعد وعيناه الشديدتا الزرقة ، عليك أن تساعديني ، إن الأمر ليس هكذا .. لقد ذهبت لرؤية جيك لأخبره أن كل شيء بيننا قد انتهى ، وإنني أحب ريتشارد . كان جيك غارقا في جزء مهم من الرواية التي يقوم بتأليفها ، فطلب مني أن أبقى قليلا لمساعدته في طباعة ملاحظاته ، واستغرق العمل فترة طويلة ، وعندما فتحت الباب لمغادرة المنزل . كان لوك يتمشى قريبا . كنت لا أزال أرتدي ثوب حفلة الخطوبة . أنني أحب ذلك الثوب .... أما والدة ريتشارد فهي تكرهه بالطبع» .

استبعدت ناتاشا جملة إيما الأخيرة وسألتها : «هل تقصدين القول أنك ذهبت مباشرة في حفل خطوبتك إلى منزل جيك

بيندراغون ، وإن لوك ابن عم ريتشارد رأك تغادرين المنزل في تلك الساعة المتأخرة ؟»

– «إن لوك ليس ابن عم ريتشارد ، بل هو ابن عم والده ، رغم أنه يتصرف كما لو أنه ابن عم ريتشارد بالأمر منذ البداية ، فلماذا لا تعتقدين أنه سيفعل ذلك الآن» .

– «لقد سمعت والدة ريتشارد تتكلم مع لوك ، فقد ذهبتُ لرؤية سارة ، وكان باب غرفة الجلوس مفتوحا ، لم يعرفا بوجودي هناك. سمعتُ والدة ريتشارد تقول إنها تأمل بأن يتزوج ريتشارد من فتاة تناسبه أكثر مني ، وأجابها لوك بأن قلب ريتشارد يمكن أن يتغير من ناحيتي . وقد عرفتُ فوراً ...» وتنهدت إيما بطريقة مسرحية . قطبت ناتاشا وسألتها بصبر :

– «عرفت ماذا ؟»

– «بأن لوك ينتظر حتى أخر لحظة ممكنة ليخبر ريتشارد بما فعلت . وسيكون ذلك الليلة ، في الحفلة التي يقيمها والداك اليوم من أجلي أنا وريتشارد» .

– «أوه . إنني متأكدة أنك على خطأ» . حاولت ناتاشا إشعار إيما بالارتياح وتابعت : «صحيح إنني لم أقابل لوك ، لكنني

متأكدة أنه لو أراد إخبار ريتشارد لفعل ذلك منذ عدة شهور . على أي حال لم يفت الوقت بعد ، فلماذا لا توضحين الأمر لريتشارد طالما أنت متأكدة من شعوره نحوكَ ...؟ »

– «ماذا تعنين بكلمة –«طالما»– ؟ أنت لا تصدقيني ؟»

– « بالطبع أصدقكِ ، لكن ... »

– « لكن هذه هي التي استوقفتني عن أخبار ريتشارد . الجميع يعرف بأنني خرجت مع جيك عدة مرات . وقد أوضحت لريتشارد بأنه إذا كان متأكدا من حبه لي ، فإنني لن أنظر لجيك مرة أخرى. أعرف أن ريتشارد سيصدقني إذا أخبره لوك ، لكن مكانتي .. » .

– « أعترف بأن الأمر صعب . كان من المفروض أن تشرحي الأمر لريتشارد فورا »

– «حسنا ، لم أفعل ذلك .. إذا فسخ ريتشارد خطوبتنا ، فإن حياتي ستُدمر ، إلا إذا .. عليك أن تساعديني ناتاشا ، أرجوك » .

– « أظن أن أفضل من يساعدك ، هو أنت نفسكِ إيما .. وذلك يكون بحسن ظنك وثقتك بريتشارد . إنه شخص بالغ وليس بإمكان لوك منعه من حبك والزواج منك » .

– « أنت لا تعرفين لوك » قالت إيما بصرامة . « إنه نموذج حقيقي عن عائلة تمبلكومب . وهذا وحده كفيل لجعل الأمر في غاية السوء » .

– « في غاية السوء » كيف ؟ يسألتها ناتاشا .

– « حسنا ، في البداية ، فهو ضد المرأة تماما . وقد أخبرني ريتشارد ، بأن لوك يعتقد فعليا أن المرأة يجب أن تكون خاضعة له ، وعلى ذلك فهو أكثر حزما وصرامة من السيدة تمبلكومب والدة ريتشارد » .

– « إذن عليه أن يتعاطف معك » .

همست ناتاشا وهي تلتقط قطعة أخرى من القماش المطرز ، متخيلة إياها معلقة فوق الصندوق الخشبي الذي اشترته من المزاد العلني ويعود تاريخه إلى القرن الخامس عشر .

– « ليس لوك » . أجابت بمرارة . « لقد نصح ريتشارد بتأجيل الزواج سنة أخرى لأنه ليس متأكدا من كوني الزوجة المناسبة . ستساعديني أليس كذلك ؟ لا أستطيع أن أتحمل فقداني لريتشارد . عندما اختلفتُ مع جيك ، استطعتُ التأقلم العيش بدونه ، لكن الأمر مختلف تماما مع ريتشارد . فأنا أحبه ، وأعرف أنه يحبني أيضا لكن ... » .

– « لكنك لا تعتقدين أنه سيصدقك إذا أخبرته عما كنت تفعلين في منزل جيك بندراغون » .

–«سيحاول تصديقي .. فهو ليس سوى بشرٌ . وإذا كان الوضع معكوسا ، أعرف كيف سيكون شعوري إذا سمعتُ أن ريتشارد خرج من منزل فتاة في مثل ذلك الوقت المتأخر» .

– « ماذا تريدين مني أن أفعل» سألتها ناتاشا . « أن أخطف لوك وأخفيه عن الأنظار إلى أن يتم الزفاف؟ »

أجابتها إيما :

– «لا تكوني سخيفة .. كل ما أريده منك هو أن تتظاهري أنك أنتِ من رآها لوك تغادر منزل جيك» . وتابعت متجاهلة نظرة الذهول في عيني ناتاشا :« إننا متشابهتان ، فكلانا شقراوتان ، ولنا عينان رماديتان ، كما أننا في نفس الطول تقريبا ... »

– « أنت ابنة عمتي ولسنا توأمين » قاطعتها ناتاشا بجفاف . « كما أننا لسنا متشابهتين لهذه الدرجة ، فأنا أطول منك ، ثم أنني .. »

– « ناتاشا ، أرجوك أصغي إليَّ : إن لوك لا يعرفني تماما ، فهو لم يرني إلا فترة قصيرة »

www.elromancia.com

– لقد رآك ترتدين نفس ثوب حفل خطوبتك» ذكرتها ناتاشا .

« إيما إنني أحبك وأريد مساعدتك .. »

– « كلا ، أنت لا تريديني » قاطعتها إيما بمرارة . «بل تريدين البقاء آمنة في عالمك الصغير . أراهن أنك تفكرين مثل لوك تماما . أي أنني لا أستحق شخصا كريتشارد .

وإذا كان محتما أن يتزوج ريتشارد من عائلتنا ، فإن والدته تفضّل أن تكوني زوجة ابنها ومع ذلك كانت لك بعض اللقاءات مع ريتشارد قبل تخرجك في الجامعة » .

– « إنني أحب ريتشارد لشخصه ، لكنني مسرورة جدا لعلاقتكما وحبكما . أما عن كوني أشابه لوك في تفكيره .. بالمناسبة ، ما هو عمله ؟ »

– « إنه فنان » ، أجابت إيما بشكل قاس مشاكس . « رسام معروف»

– « لوك تمبلكومب ؟ لا أظن أنني سمعت عنه من قبل »

– إنه يستخدم اسما آخر : « لوك فريرس » .

– « لوك فريرس ؟ لوك فريرس الـ .. »

– « ناتاشا ، أرجوك ساعديني ، سعادتي الكاملة تتوقف على ذلك » .

– « ما الذي تريدين أن أفعله أن أحمل إعلانا يقول : – أنا من رأيتني أغادر منزل جيك بندراغون وليس إيما » ؟

– « هذا ليس مسلياً . أريدك أن توافقي على القول بأنك أنت من رآها لوك ولست أنا »

وتابعت بالتماس عندما شاهدت وجه ابنة عمتها : « وهذا الأمر لن يهمك في شيء ، فليس هناك شخص في حياتك الآن » .

– « وسُمعتي .. ؟ أليس لها أهمية ؟ »

– « أوه .. بحق الله .. عقليتك قديمة جدا »

– « إن لوك فنان ، فهل تعتقدين أنه سيصدق بأنني من شاهد ؟ »

أجابتها إيما بعنف :

– « لا يهم ما يصدق لوك ، بل ما يصدقه ريتشارد ، كان علي بالطبع أن أعرف أنك سترفضين مساعدتي .. فأنت لا تريدين تشويه سمعتك ، ولا يهمك إذا فسخت خطوبتي وتحطم قلبي» .

www.elromancia.com

– « كفّي عن هذه الطريقة المسرحية . لا أعتقد أن لوك فريرس سيقول شيئا لريتشارد . ليس في هذه المرحلة على الأقل. لكن إذا حصل وقام بذلك .. »

– أوه ستفعلين ما طلبته منك ! أوه ناتاشا ، أشكرك ، أشكرك جدا » .

كشرت ناتاشا قليلا فهي لا تود التطوع للقيام بهذا العمل ، بل تود لو تقبل ابنة عمتها نصيحتها بأن تضع ثقتها بريتشارد وتخبره بالحقيقة . لكن كانت إيما ترقص في العلية المستخدمة كمكتب وغرفة عمل في منزل ناتاشا . واقتربت من الباب وهي ترسل قبلات في الهواء لابنة خالتها وقالت :

– « لا تعرفين كم يعني هذا لي .. كنت أعرف بأنك ستساعديني ، الآن فقط أشعر بالارتياح ، وليفعل لوك ما بدا له ، فهو لا يستطيع إيلامي الآن . أوه ناتاشا ، إنني مرتاحة جدا » .

– « إيما ، انتظري ... »

لكن ابنة عمتها فتحت الباب وأسرعت راكضة تهبط الدرج وهي تقول :

– «لا أستطيع ، لدي تجربة قياس نهائية للثوب إنني متأخرة جدا سأرك الليلة وقت الحفل في منزلكم » .

♥ ♥ ♥

– « بماذا ورطتِ نفسك يا ناتاشا ؟ » هكذا سألت ناتاشا نفسها .

سيصل الضيوف في تمام الثامنة ، والساعة الآن هي السابعة والنصف .

وقفت ناتاشا أمام عتبة غرفة نومها . الغرفة المخصصة لها منذ نشأتها ولا تزال تستخدمها عندما تقضي الليل في منزل أسرتها في لاسي كورت .

كانت إيما تقف وسط الغرفة مرتدية ثوبا من الساتان يظهر جمال صدرها ونحول ساقيها.

– « إذا قررتِ أن ترتدي هذا الثوب في العشاء ، فلا شك أنك ترتكبين غلطة » قالت ناتاشا وهي تنظر إليها متفحصة .

ابتسمت إيما مكشرة وأجابت :

– « لا تكوني سخيفة ، فهو كما أريد »

www.elromancia.com

- « إذا لم ترغبي أن يراك أهل ريتشارد ترتدين ثوبا ملفتا للنظر (كاشفا) كهذا ، أقترح عليك أن تعودي إلى غرفتك وتختاري ثوبا آخر » أجابتها ناتاشا بجفاف .

- « ليس الآن . اسمعيني : أظن من الأفضل أن تمشطي شعرك مثلي وأن ترتدي هذا .. » مدت يديها خلف ظهرها والتقطت شيئا من على السرير ووضعته أمام ناتاشا .

- « إنه الثوب الذي كنت تلبسينه في حفل خطوبتك ! »

- « تماما ، فلو ارتديته أنت هذه الليلة ، فإنه سيساعد بإقناع لوك أن من شاهدها هي أنتِ ولست أنا » .

- لكن إيما لابد أنه يعرف الثوب إضافة إلى ذلك فهو لا يناسبني فأنا أطول منك بخمس إنشات على الأقل ، وأعرض بإنشين عند الصدر »

- « صحيح .. لكن الجزء العلوي من الثوب فضفاض . كما أن الزي هذا العام هو القصير » .

- « ليس بهذا القصير .. بالتأكيد ليس لي »

- « لكنك وعدتني » ملأت دموع غزيرة عيني إيما الرماديتين الشبيهتين بعيني ناتاشا .

كانت ناتاشا تعرف أنها دموع التماسيح وأنها حيلة تستعملها إيما . المشكلة أن ناتاشا تستجيب دائما لهذه الدموع . لكن هذه المرة لا .. لاشك أنها ستبدو مضحكة في ثوب إيما ..

كان الثوب مصنوعا من قماش الجرسيه الناعم ، أكمامه طويلة ، وجزءه الأعلى مفتوح إلى الخصر من الأمام والخلف .. وعندما ارتدته يوم خطوبتها لفتت أنظار جميع الرجال . إنه من الثياب التي تعطي إيما الثقة بالنفس لكنه بالتأكيد ليس من الملابس التي تفضلها ناتاشا .

كانت ناتاشا تهم بإخبار إيما بذلك ، عندما فُتح باب الغرفة ودخلت والدة ناتاشا .

تفحصت ناتاشا والدتها بإعجاب . طويلة لا تزال تحتفظ بجسمها رشيقا . كانت ترتدي ثوبا من الحرير الرمادي الشاحب ، يبدو غاليا رغم بساطته . وتضع حلقا مصنوعا من الماس ، وشعرها مصفف بعناية ، باختصار كانت تبدو أنيقة وزوجة رجل غني .

قطبت الوالدة عندما شاهدتهما وهتفت :

- « إيما أنت هنا يا عزيزتي ؟ عليك أن تكوني جاهزة لاستقبال الضيوف. سأبقي الجميع في القاعة، وعندما تهبطين..»

www.elromancia.com

توقفت فجأة عندما شاهدت إيما تبكي وسألت :

- « لماذا هذا البكاء ؟ »

شهقت إيما وقالت : «بسبب ناتاشا أريد منها أن ترتدي هذا الثوب لكنها ترفض ، وتقول أنها ستهبط للعشاء بذلك الثوب البيج المرعب الذي لديها منذ سنوات عديدة .. لقد خططنا أن نبدو جميعا نرتدي الأبيض أو الرمادي أو الأسود . لكن ناتاشا ستفسد ذلك كله الآن » .

- « هل هذا صحيح يا ناتاشا » استنكرت والدتها ، « لا يمكن طبعا ارتداء الثوب البيج المخيف »

- « كما لا يمكن أن أرتدي هذا » أجابت ناتاشا ، « هل تذكرينه . إنه الثوب الذي ارتدته إيما في حفل خطوبتها ، الثوب الذي جعل رئيس الكهنة يصاب بالسكتة الدماغية كلما تمايلت إيما ! »

- « أوه ذلك الثوب ... » قالت الوالدة .

قاطعتها إيما قائلة :

- « ناتاشا تبالغ ، إنه ليس بهذا السوء ، أريدها أن تبدو

أجمل ما تكون ، فهي لا تهتم بنفسها ، أنت بنفسك تعترفين بذلك. كما أريدها أن تجعل شعرها مثلي عوضا عن ضمه خلف رأسها. وهذا الثوب .. ألا تعلمين ، لقد سمعتُ السيدة تمبلكومب تطلب من سارة ألا تقلق من مظهرها في ثوب أشبينة العروس ، لأن ناتاشا ستبدو أسوأ مظهرا » .

أغمضت ناتاشا عينيها ولعنت ابنة عمتها سرا . إذ كانت والدتها تنفر بشكل غريزي من السيدة تمبلكومب وقد عرفت إيما كيف تستغل هذه النقطة لصالحها ..

أجابت الوالدة :

- « هل قالت ذلك فعلا ؟ إيما على حق يا عزيزتي فالثوب سيبدو رائعا عليك »

- « حقاً » أجابت ناتاشا بشكل لاذع . « لن أرتدي هذا الثوب »

- « عزيزتي يؤسفني أن أقول لك أنك سترتدينه » قالت إيما وهي تبدو منتصرة . « لقد تفقدت خزانة ملابسك ، عندما وصلتُ و... »

اندفعت ناتاشا بسرعة وفتحت باب الخزانة حيث تحتفظ ببعض ثياب السهرة والعمل لكن ، الخزانة كانت فارغة تماما .

www.elromancia.com

قالت بعنف ، وهي في غاية الغضب من إيما :

– « لن أرتدي ذلك الثوب إيما ، ولو تطلب الأمر أن أبقى هنا طوال الليل »

أجابت والدتها :

– « أوه عزيزتي لا يمكنك القيام بذلك . فكري كيف سيبدو الأمر . وتخيلي ماذا ستقوله والدة ريتشارد ... لا ، ستفعلين ما قالت إيما وترتدين الثوب ، أنا متأكدة أنه سيبدو رائعا عليك » .

– « نعم سيبدو كذلك » أجابت إيما بتلهف . «لدينا أيضا الوقت الكافي لتصفيف شعرك» .

– « أشكرك إيما ، إنني قادرة تماما على تصفيف شعري » أجابت ناتاشا بغضب .

تعرف أنها قد علقت في الفخ ، وتعرف أنها لن تدع لوك يقيم أي مشكلة بين إيما وريتشارد ، فإيما رغم كل شيء تحب ريتشارد بشكل كبير وقد غيرت الكثير من تصرفاتها لتُرضي عائلته . وفكرت ناتاشا : كلما أسرعت إيما وريتشارد بالتحرر من عائلة ريتشارد ، كلما ازدادت فرصة نجاح زواجهما فهما سيعيشان بعيدا عن تدخل وانتقاد والدته .

غسلت ناتاشا شعرها وصففته بنفس طريقة إيما ، لكنها لم تستخدم الدبابيس الملفتة للنظر كالتي اختارتها إيما . واعترفت بينها وبين نفسها بوجود تشابه كبير بينهما باستثناء التفاوت في الطول .

نعم الشعر على ما يرام . لكن بالنسبة للثوب .. لقد بدت فيه أكثر سوءاً مما توقعت ، فهو يعلو فوق ركبتيها بحوالي إنشين على الأقل . وتصل فتحة الصدر لأعلى من الخصر بقليل ، وهي على شكل ٧ من الأمام والخلف. حيث تؤدي أي حركة من جذعها للكشف عن جزء كبير من صدرها .

– « ها أنت جاهزة إذن »

تمايلت ناتاشا ، ونسيت مظهرها عندما حدقت بإبنة عمتها . كانت إيما مرتدية ثوبا يبدو أنه صُمم لفتاة أنيقة محتشمة قليلا . مصنوع من الحرير الرمادي . أما ياقته وطرفا الكمين فقد كانت بيضاء اللون . وجعلتها تنورته التي على شكل جرس تبدو هشة ورقيقة .

تابعت إيما قائلة : « لقد أحضرت لك هذه . إنها جوارب وحذاء من الساتان . أعرف أنه ليس لديك ما هو مناسب » .

www.elromancia.com

عضت ناتاشا على أسنانها وقالت :

– « لا أعرف لماذا أدعك تفلتين من هذا ... لقد رتبتِ لكل ذلك، أليس كذلك إيما ؟ إنني أبدو مختلفة جدا عن ابنة عمتي الصغيرة المحتشمة » .

– « لا بل تبدين مذهلة » .

فكرت ناتاشا بينها وبين نفسها : إن ثوب إيما الرمادي هو ما يناسبها أكثر مما يناسب إيما .

تابعت إيما :

– « والدتك اختارت هذا الثوب لي ، وقالت أنه يعطي انطباعا جيدا .

أجابت ناتاشا :

– « أوه ، نعم حسنا سأرتدي ثوبك ، لأنك لم تعطني حرية الاختيار ، ولأنني أعرف كم من المهم بالنسبة لك أن تقبل عائلة ريتشارد بك . إن ريتشارد يحبك لنفسك ، أما إذا أراد نسخة من والدته ، فعليه أن يختار..»

– « لويس غراي ، نعم أعرف ذلك . إن والدة ريتشارد مقتنعة بأن شيئا ما سيحدث قبل الزفاف ، وأن ريتشارد سيفتح عينيه

ويعرف بأنه يحب لويس وليس أنا .. ولوك المتوحش يساعدها على ذلك . لو كنت موجودة في حفل الخطوبة لكنتِ شاهدت الطريقة التي ينظر إليَّ بها ، إنه رجل بغيض » .

لم تحضر ناتاشا حفل خطوبة إيما لأنها كانت في رحلة عمل بإيطاليا .

– « اسمعي ، عليّ أن أكون في الطابق السفلي خلال دقيقة . إنني ممتنة لك جدا ناتاشا . لا أعرف ماذا كنتُ سأفعل لو لم تعرضي عليّ مساعدتك» .

– « أعرض !» احتجت ناتاشا ساخطة . لكن إيما كانت قد أغلقت الباب خلفها .

www.elromancia.com

الفصل الثاني

– « إنني لا أحب ارتداء الجوارب أبداً . وهي حقيقة تعرفها إيما جيدا » .

هكذا فكرت ناتاشا بنزق . أما هذا الكعب العالي ... لقد شعرت أنها عالية جدا ، تنظر للجميع من برج شاهق .

هل تشعر بالخجل بعد ارتدائها هذا الثوب المثير لأنه يجعلها محطا لجميع الأنظار ، أم لأنها أطول من أيما .

لم يحدث من قبل أن تواجدت في مكان تتلقى فيه نظرات إعجاب الرجال ونظرات الإستنكار في عيون النساء .. إنها تجربة لا ترغب أن تتكرر ثانية . لقد ردّت إلى الآن أربع محاولات قام بها عم ريتشارد المسن للإنفراد بها بعيدا عن باقي المدعوين .

– « أرى أنك تروقين للعم روفوس » علقت إيما وهي تقترب منها .

– « في عمره ، عليه أن يتعلم أكثر » أجابت ناتاشا بشكل

لاذع وهي تثأر لنفسها . وتابعت قائلة : « لا تظني أنني لا أعرف لماذا أرغمتني على ارتداء هذا .. هذا الثوب .. أنت لا تبدين فتاة وقورة محتشمة ، بينما أبدو أنا وكأنني ..»

– « في ثوب أسود ؟ » قاطعتها إيما بعذوبة ، ثم قهقهت قائلة : « لا أستطيع الانتظار كي أرى وجه ريتشارد عندما يحضر ويرانا . أعتقد أنه سيتأخر ولن يصل إلا بعد العشاء فهو سيحضُر لوك معه » . حركت خاتم الخطبة بعصبية وتابعت : « لن تخذليني أليس كذلك ناتاشا ؟ لا أستطيع تحمل خسارتي لريتشارد . ليس الآن في أي حال . لم أتوقع أنني سأكون هكذا في يوم ما . ولم أتخيل أنني سأحب بهذه العاطفة . ذلك يخيفني قليلا » .

استرخت قسمات وجه ناتاشا العابسة قليلا وقالت : « إنني متأكدة أن لوك فريرس لا ينوي التفريق بينكما ، لكنني لن أتراجع عن كلمتي ووعدي ، لكن هذا لا يمنع في أنني أكرهك لأنك جعلتني أرتدي هذا الثوب المرعب وهذه الجوارب رغم أنك تعرفين مقدار اشمئزازي منهم » .

– « حقا ؟ » قهقهت إيما مرة ثانية وهي تنظر بخجل . « إن الرجال يُفتنون بهذا النوع من الملابس . لقد قال ريتشارد ... »

www.elromancia.com

توقفت وتأوهت « أوه ... لا ، ها هي السيدة تمبلكومب ، سأنسحب الآن» .

– « جبانة » همست ناتاشا خلف إيما التي انسحبت بخفة تاركة ناتاشا تواجه والدة ريتشارد بمفردها .

– « حسنا ، ناتاشا ، إنها لمفاجأة » قالت السيدة تمبلكومب بانتقاد وهي تقطب . « لم نتوقع أن نراك مرتدية هذا النوع من الملابس » .

لم يسبق لناتاشا أن اهتمت بما يقوله الناس لكنها تضايقت قليلا لتغيير نظرتهم بتصرفاتها وآرائها .

تابعت السيدة تمبلكومب قائلة :

– « على أي حال ، أليس هو نفس الثوب الذي كانت إيما ترتديه في حفل خطوبتها ؟ لقد قلت لها إنه ليس مناسبا أبدا »

– « ولذلك أعطته لي » أجابتها ناتاشا بسرعة .

رغم أن ناتاشا تستنكر بعض تصرفات إيما ، إلا أنها لن تساعد وتُحرص السيدة تمبلكومب على انتقاد ابنة عمتها .

– « حسنا عليَّ أن أقول بأنني فوجئت بارتدائك له » .

– إنني صاحبة عمل يا سيدة تمبلكومب . وبما أنني أُنشىء الآن عملي الخاص ، لذلك لا أجد الوقت والمال الكافيين للذهاب إلى السوق . بصراحة إنني شاكرة لإيما كثيرا ، فقد عرضت عليَّ أن تعيرني الثوب » .

كذبة لا تعرف ناتاشا إذا كانت والدة ريتشارد قد قبلتها أم لا .....

– « نعم عليَّ أن أقول ، إنه لمغامرة قيامك بافتتاح محل وبيع الأقمشة الكنيسية للعموم »

وأوحى وجهها بأن عمل ناتاشا لا طعم له وإن الأقمشة ليست جيدة . لكن عوضا عن ذلك همست :

– « حسناً إنها موضة الآن . موضة تجذب الذين لديهم ميل للأقمشة التقليدية » .

في هذه اللحظة اقتربت عمة ناتاشا قائلة :

– « ها أنت هنا لوسيل .. للأسف لا يوجد وقت كاف قبل العشاء كي أريكِ الحديقة . سنزرع جزءاً منها بشجيرات الورد ومن ثم نزرع تحت هذه الشجيرات نبات الجرُيس والخبازي» .

www.elromancia.com

ابتسمت ناتاشا لعمتها بامتنان . اعتذرت بلباقة وابتعدت تفكر مندهشة في أسماء بعض الناس ، كأسم لوسيل والدة ريتشارد مثلا .

اعترفت ناتاشا عندما رفع العشاء وقدمت الحلوى ، أن أمها وعمتها مشغولتان جدا في الطهي . بما أن الأمسية دافئة ، خرج المدعوون إلى الشرفة المطلة على الحديقة بعد العشاء مباشرة . أما ناتاشا ، فقد هربت من المجموعة بأكملها .

وأخذت تفكر مليا وهي تستنشق النسيم المعطر . لم يخطر في بالها من قبل أن كونها إمرأة مغوية أمر في غاية الصعوبة ، وليس لديها إطلاقا أي طموح للاستمرار في هذا الاتجاه .

على مقربة من المنزل كانت أجراس الكنيسة تدق مشيرة للوقت .

هذه الأجراس هي أول ما افتقدته عندما انتقلت إلى مسكنها الصغير وسط المدينة . وكما أحبت الكاتدرائية ، وافتتنت بجمال النسيج والمطرزات فيها ، فقد استمتعت أيضاً بالاحتفالات الدينية والأعياد .

إذا حصل وتزوجت ، فهي تريد احتفالا بسيطا في الكنيسة ،

وزهورا في حديقة عمتها ، وستدعو عائلتها فقط ، وبعض الأصدقاء المقربين .

إنها لا تحسد إيما على الزفاف الضخم الذي تنوي إقامته ، إنها تحسدها فقط على أنها وجدت شخصا تحبه ويحبها بدوره . وتنهدت متسائلة : هل هي تتوق إلى هذا النوع من الإنسجام مع شخص ما ... ؟

خلعت حذاءها ومشت مبتعدة عن الجدار المكسو بالأزهار المتسلقة ، وبينما تنظر عبر الحديقة سمعت صوتا مألوفا يقول مستغربا :

- « إيما عزيزتي ، أنت هنا ! » وشعرت بيدي رجل على كتفيها .

استدارت فورا وهي تقول ساخرة :

- « أسفة ريتشارد ، أنا لست إيما ، بل ناتاشا »

- « ناتاشا ... ياللسماء ! »

لاشك أن عدم التصديق في صوته سيضحكها لو سمعته في وقت آخر ، أما الآن فقد أكد على وجودها وحيدة .

www.elromancia.com

وتابع قائلا :

– « أعتقدت لوهلة .. أنت وإيما مختلفتان تماما . لم أخطىء بكما من قبل أبدا . أنا .... أنت مختلفة تماما » .

تلعثم ريتشارد كشخص رمى نفسه بكل ثقة في منصة غطس عالية ليكتشف أن بركة السباحة تحته فارغة من الماء .

أشفقت عليه ناتاشا قائلة :

– « قبلت تصرفك على أنه ترحيب . ستجد إيما في غرفة الاستقبال تتحدث مع والدتك» .

– « ناتاشا إنني أسف ، لم أقصد ... »

– « أعرف أنك لم تقصد » . أجابت بسخرية . ثم أضافت قائلة بصرامة : « لكن لا تكرر ذلك مرة أخرى » .

– إنني أحب إيما كثيرا ولذلك لا أستطيع التفكير في غيرها « رأيتك هنا ترتدين ثوبها .. بالمناسبة لماذا ترتدينه ؟ » سألها بارتباك . « أعني أنه ليس من الأشياء التي تفضلينها إطلاقا ، أليس كذلك ؟»

– « أوه أليس كذلك » سألته بسخرية وهي تراقبه يحمرُّ

خجلا، وشعرت بالغضب منه ، فلماذا يفترض أنها لا تملك القدرة أو الرغبة بأن تبدو كامرأة مرغوب فيها .

كانت مستغرقة جدا في صدمة المناقشة والإثارة غير المنطقية لدرجة أنها لم تلحظ أنهما ليسا لوحدهما إلا أن نظر ريتشارد بعيدا عنها بطريقة مفاجئة وقال بلهفة :

– « تعال ، وقابل ناتاشا ، ابنة عمة إيما ، ناتاشا أود أن أقدم لك لوك أبن عمي ، أو بالأحرى ، ابن عم والدي » .

شعرت ناتاشا بعصبية عندما أستدارت لكن دون أن تعرف لماذا ؟

كان لوك يبدو تماما أنه من عائلة تمبلكومب ، فهو طويل ، رياضي المظهر ونو بنية جيدة . شعره أسود ، يوجد بعض القسوة في مظهره وهذا شيء ليس موجودا سواء لدى ريتشارد أو والده . تعابير وجه ريتشارد ووالده هي اللطافة ، بينما تشير تعابير هذا الرجل إلى السخرية والتهكم .

أما عيناه ، فهما ليستا بنيتين كعيني ريتشارد ، بل ذات لون فاتح وتبدوان وكأنهما تعكسان الضوء وتخفيان تعابير وجهه .

www.elromancia.com

إنه أطول من ريتشارد ، وأكثر ضخامة . يبدو جسمه تحت بذلته ذي عضلات قوية ، ويظهر شعر صدره المجعد متناقضا مع قميصه الأبيض ، وتساءلت ناتاشا كيف سيكون شعورها إذا مالامست هذه التجعدات بأطراف أصابعها ....

عبست عندما شعرت برجفة في جسمها وسمعته يقول :

- « إبنة عمة إيما . أه نعم لقد تعرفتُ على الثوب » .

- « نعم وكذلك أنا ، في الحقيقة اعتقدتُ وللحظة أن ناتاشا هي إيما » .

- « صحيح » .

راقبت ناتاشا ارتفاع حاجبيه في لامبالاة، ثم قالت بسرعة:

- « من الأفضل أن تذهب للداخل ، ستتساءل إيما ... »

- « إذا استعرتِ خطيبها كما استعرتِ ثوبها » قال لوك بسخرية مما جعل ناتاشا تعضدّ على أسنانها وتقاوم رداً حادا كاد أن يخرج من شفتيها .

بإمكانه أن يكون كما يشاء ، أما أن يعتقد أن بإمكانه القدوم إلى هنا وإهانتها ... !

لكن ما السبب في الخلاف معه ؟

إنه - كرسام - يحوز على إعجابها . هكذا كانت تفكر غاضبة وهي تمر مبتعدة عن الرجلين ، ولاحظت بعد فوات الأوان أنها لم تسترد حذاءها .

- « ألا تحتاجين لهذا ؟ »

استدارت وهي تغلي غضبا لتجده يحمل الحذاء .

ياله من رجل ، لابد أن عينيه كعيني صقر .. لقد اعتاد بالطبع - وكرسام - أن يراقب كل تفصيل دقيق ، وبدا قلبها يخفق بعدم انتظام عندما اقترب منها .

عندما مدت يديها لتأخذ حذاءها منه ، لاحظت كم تبدو بشرتها شاحبة ورقيقة بالمقارنة مع بشرته الشديدة السمرة ، وكم هو هش عظم معصمها ، لدرجة أنه لو لفّ أصابعه حول معصمها لكسره بسهولة كما لو كان ينتزع غصنا صغيرا وابتلعت ريقها غاضبة لأنها تركت العنان لنفسها تحلق بحماقة في عالم الخيال .

في ذلك الحين دخل ريتشارد يبحث عن إيما ، وتمنت ناتاشا وهي ترتدي حذاءها لو أن لوك يتبعه .. وما أن خطت أول خطوة ، حتى مال كعب الحذاء مسببا الألم ، وطارت الفردة الأخرى ، إنحنت تلتقطها وهي تلعن رصيف الشرفة غير المستوي .

توترت وهي تعضد على أسنانها عندما سمعت لوك تمبلكومب يقول ببرود :

– « إسمحي لي » وتناول فردة الحذاء من يدها .

أذعنت عندما اقترح :

– « أظن أنه من الأسهل لو وضعت يدك على كتفي لتثبتي نفسك ، فالأرض هنا غير مستوية ، وليست لهذا النوع من الأحذية . لكن متى كانت النساء ، تأخذن بعين الاعتبار الأهمية قبل أن يختُرن ما يرتدينه ؟ »

فتحت ناتاشا فمها لتستنكر تعليقه الجائر ، ثم تراجعت ، فقد كان جسمها تحت تأثير صدمة إطباق أصابعه حول كاحلها .

سمعته يهمس : « جوارب حريرية ! »

أحست به يلف يديه حول جسمها ، ثم قالت له :

– « كيف تجرؤ ؟ ماذا تظن أنك فاعل ؟

– « لقد قبلت دعواكِ الرقيقة التي قدمتها لي » .

كررت وهي في أقصى درجات الغيظ والغضب :

– « كيف تجرؤ » أنت تؤمن بأن المرأة يجب الحفاظ عليها .

توقفت مدركة أنها لا تستطيع إخباره بالسبب الحقيقي .

نظرت إليه بوحشية ولاحظت أنه لايزال يراقبها بلهوٍ ساخر منتظرا أن تتابع كلامها .

وعوضا عن أن تتم جملتها قالت بحنق :

– « أوه لتذهب للجحيم »

ثم أسرعت مبتعدة عنه متجاهلة ضحكته الهازئة التي تتبعها .

كانت ترتجف بشدة إنها الآن تريد أن تمزق الثوب والجوارب وترمي بها في النار ، وتدفن رأسها تحت الوسادة وتريح نفسها بفترة طويلة في البكاء .

لم يسبق لأحد أن جعلها تشعر بالغيظ والإهانه مثله .. لم يسبق لأحد أن جعلها تشعر بعواطف متقّدة ومتضاربة في مثل ذلك الوقت القصير .

كانت إيما على حق ، فهو رجل كريه ، بغيض ، خطير ....

خطير جدا . اعترفت وهي تشعر برجفة خفيفة إنه خطير .. خطير جدا .

www.elromancia.com

الفصل الثالث

بعد نصف ساعة ، غادرت ناتاشا غرفتها حيث هربت لتستعيد توازنها وتستجمع قواها . ونزلت للطابق الأسفل وهي تحدث نفسها : « إنه الثوب » لابد أنه الثوب ولا يمكن أن يكون أي شيء آخر ، فلا شيء في سلوكها يمكن أن يعطيه الانطباع أنها تريد فعلا أن تكون فتاة مرغوبا فيها ...

ابتعلت ريقها غاضبة من نفسها للشعور العصبي الذي غزا معدتها . الشعور الذي يقول بأن تحت غضبها تكمن سعادة مميزة ومقلقة في نفس الوقت ، من طريقة ملامسة أصابعه لبشرتها .

وتنهدت وهي تدخل غرفة الاستقبال من المستحيل التصديق أن ما جرى قد حدث فعلا ..

وكلمت نفسها « مشكلتك هي اعتيادك أن ينظر الرجال إليك وكأنك عمة عانس كبيرة في السن أين هي روح الدعابة لديك .. ؟ لا شك أن النساء يسعدن باقترابه منهن » .

طافت في الغرفة وهي تتساءل تُرى ماذا ستقول والدة ريتشارد إذا أخبرتها عما حدث ؟

وشاهدت ابنة عمتها وريتشارد يمسكان بأيدي بعضهما البعض ، يحدق أحدهما في وجه الآخر . إنهما مثال لثنائي مُحب.

– « هل لك أن تكفي عن العبوس » .

تجمدت عند سماع هذه الكلمات وانتابتها موجات حسيّة كثيفة في رأسها إلى أطراف أصابع قدميها .

قالت بعنوبة لاذعة :

– « لم أدرك أنني أعبس ، لو تعذرني يجب أن أذهب لمساعدة والدتي »

– « ليس الآن »

لم تستطع هذه المرة أن تمنع نفسها من التمايل تحت وطأة شعورها بأصابعه النحيلة تمسك بمعصمها وتأسرها أحست بالذعر فورا ، وهمست بغضب :

– « هل لك أن تدعني أذهب ، ما الأمر معك ؟ . هل تحب أن تقحم نفسك على النساء ؟ »

ابتسم لها بطريقة جميلة مغرية جعلتها ترتعش من الداخل .

– « وهل هذا يثيركِ كي تقحمي نفسك على الرجال –مرئيا– على الأقل » ؟

اكتشفت ناتاشا أنها قد أشهرت قبضتها . واكتشفت أيضا أنها ستكون في غاية السعادة لو وجهتْ ضربة إلى وجهه القاسي الذي يحدق في وجهها . فلم يسبق لأي رجل أن جعلها تحس بهذا الشعور والحنق والإهانة لتلك الدرجة :

– « لمعلوماتك ، لقد ارتديت هذا الثوب لأنني أحبه »

– « حقا ؟ أم لأنك تحبين أن تلاحق عيون الرجال كل حركة من حركاتك . كوني صادقة ، لا توجد امرأة تريد ثوبا كهذا إلا إذا أرادت أن ينظر إليها الرجل »

لم تعرف لماذا يجيب ، فهي تعترف أن ماقاله صحيح تماما . وتابع قائلا :

– « من الممكن أيضا أن يكون لإرتداء المرأة ثوبا كهذا ، له نفس التأثير عند الرجال» .

حملقت ناتاشا فيه وقالت :

– « إذا كنت تقصد أن تعتذر بكلامك هذا .. »

– « إنه ليس اعتذارا ، فلا يوجد ما أعتذر لأجله »

خطت للخلف بعيدا عنه . فأمسك بمعصمها ، وحملقت به غاضبة رغم ضغط يده لم يؤلمها أبدا .

مال برأسه وهمس بنعومه في أذنها :

– « اعتبري نفسك محظوظة لأنني لم ألمس إلا ساقك ، رغم أنك جذبتِ اهتمامي »

فغرت ناتاشا فمها غير مصدقة ..

– « تبدين كطفلة صغيرة تجد فجأة أن جدتها قد تحولت إلى ذئب شرس» قال بطريقة ساخرة .

وتابع :

« بالتأكيد تعرفين تأثيرك » .

شاهدت بطرف عينيها السيدة تمبلكومب تراقبهما بعبوس . إن آخر ما تريده هو أن تلاحظ والدة ريتشارد اضطرابها ، لذلك تجاهلت ملاحظته وقالت بمرارة :

– « إن ريتشارد وإيما يشكلان ثنائيا رائعا ، أليس كذلك ؟ لا

www.elromancia.com

شك أنهما سيكونان في غاية السعادة معا »

– « حقا » وجه إليها نظرة تهكمية . « أعتقد شخصيا أنهما ليسا مناسبين لبعض » . شاهد الإزدراء القاتم في عينيها وأضاف بقسوة :

– « يجب على ابنة عمتك أن تكون واعية جدا طالما أن ريتشارد سينخرط في قالب والده وجده .. إنه شاب جدي لكنه مفتون بالوجه الفاتن .. هل تريدين حقا أن أصدق بأن لديهما فرصة في السعادة معا ؟ .. بعد ستة أشهر أو أقل ستضجر ابنة عمتك لكونها زوجة كاهن ، وستبحث عن نمط من التسلية كالذي شاهدتها تستمتع به العام الماضي ليلة إعلان خطوبتها على ريتشارد »

خفق قلب ناتاشا بشدة ما أن وجدت نفسها تواجه ما تعتقد أنه خطير .. وهذا الرجل يشكل خطرا على سعادة إيما ، وعليها أيضا .

سألته بشكل متقطع :

– « ما الذي تحاول قوله تماما ؟ » .

نظر إليها مطولا وأجاب :

– « لا تقولي إنك لا تعلمين شيئا عن علاقة ابنة عمتك بجيك بيندراغون .. لقد رأيتها بنفسي تغادر منزله قرب الفجر بعد أن أعلنت خطوبتها على ريتشارد» .

نظرت إلى وجهه فتلاشت في ذهنها أي محاولة للتفسير ، وسمعت نفسها تقول ببرود :

– « لابد وأن هناك سوء تفاهم ... »

– « لا أظن ذلك ، فالحقائق هي التي تتكلم .. الحقائق التي مازال ريتشارد جاهلا عنها .. ياله من مغفل . إذا لم تكن مخلصة له في ليلة الخطوبة .. لقد كانت ترتدي الثوب الذي تلبسينه أنت الآن »

لم يتوقف عقل ناتاشا عن التفكير ، وفجأة رفعت رأسها قائلة بتصميم :

– « هل تقصد القول أنك رأيت إيما .. ؟ في الواقع ، إن من شاهدتها هي أنا .. لقد وصلتُ من السفر في وقت متأخر فلم أحضر حفل الخطوبة . اتصلت هاتفيا بجيك ودعاني لجولة ، في

www.elromancia.com

ذلك الوقت حضرت إيما وعرفت إنني لا أريد الذهاب إلى منزلي الخاص كي أبدل ثيابي ، لذلك عرضت عليَّ إعارتي ثوبها .. إن جيك يجب أن تبدو فتاته .. »

– « ملكا له فقط » أجاب بنعومة .

♥ ♥ ♥

– « مرحبا لوك تبدو غارقا في المناقشة مع ناتاشا »

التفت كلاهما على صوت إيما وبجانبها ريتشارد .

قالت ناتاشا بنعومة وكأنها معتادة على الكذب :

– « إيما ، احذري ماذا ... ؟ لقد شاهدني لوك أغادر منزل جيك في العام الماضي بعد حفل خطوبتك وأعتقد بأنني أنت.. !».

بدا على إيما كأنها صُدمت أو أُهينت ، فقالت بعنف :

– « وظهرت بعض الإشاعات في ذلك الوقت بأنني ساعدت جيك في كتابه الجديد .. أليس كذلك يا ناتاشا ؟ .. بالمناسبة هل لازلتِ على اتصال معه ؟ »

– « لا » أجابت ناتاشا باقتضاب وهي تشعر بالانزعاج من ابنة عمتها ، فالحل الوحيد لمساعدة إيما على الخروج من الموقف

الصعب هو القول بأن ناتاشا هي عشيقة لجيك بندراغون .

– « أخبرني ريتشارد أنك لن تحضر حفل زفافنا يا لوك ! » قالت إيما .

– « لا .. إنني مشغول بمهمة . أسف لذلك » .

أجاب لوك بطريقة مهذبة ، لكن ناتاشا أحست أنه ليس أسفا على الإطلاق.

شعرت فجأة أنها منهكة القوى تماما ولا تستطيع الوقوف .. كانت معدتها تؤلمها وتشعر بصداع شديد .. تريد الآن أن تكون لوحدها .. اعتذرت وأسرعت باتجاه الباب ، فربما يساعد الهواء النقي على تنشيط رأسها .. لكن ليس في الشرفة هذه المرة ، فهي مكتظة بالمدعوين .. لا ، إنها ستتسلل إلى الباب الخلفي وتدخل حديقة المطبخ المغلقة .

ارتدت سترة تستخدمها عمتها عندما تعتني بالحديقة ، وخرجت من الباب الخشبي .. تنهدت واستنشقت رائحة الأعشاب النظيفة .. كم تمنت لو يصبح رأسها نظيفا مما عانته في هذه الليلة . لا فائدة .. أن يعرف لوك تمبلكومب بأن المرأة التي أهانها ليست هي نفسها على الإطلاق ...

كان ضوء القمر كافيا كي ترى بوضوح ممرات القرميد ، هناك تحت الجدار يوجد مقعد محاط بتعريشة عنب ذهبت وجلست مستندة . أغلقت عينيها وتنفست بعمق عدة دقائق إلى أن استعادت سيطرتها على نفسها .

إنها تفتخر دائما بطبيعتها الهادئة ، لكن ذلك الرجل الذي يثير الحنق حطم حاجز سيطرتها على نفسها وأظهر أنها إمرأة ذو شعور وعواطف كانت لا تعرف بوجودها ...

وحذّرت نفسها عندما عاد التوتر إليها : لا تفكري به .. لكنه أمر ذهني صعب جدا أن تنسى وجهه الساخر الغامض .

– « آه ، تيتانيا في ضوء القمر »

هزها صوته ، ففتحت عينها وحدقت فيه غير مصدقة ، لقد كان ما تفكر فيه واقفا أمامها .

اضطربت لحضوره وقالت بطريقة لاذعة :

– « حسنا أنت لست أوبيرون ، لكننا تقابلنا بصعوبة » .

وقفت بصورة مفاجئة مصممة على الهرب منه بأقصى ما تستطيع من سرعة فقد كان واقفا على بعد عدة أقدام منها ، لكن شعرت بقدميها مسمرتين بالأرض . تحرك باتجاهها بسهولة ورشاقة معترضا سبيلها .

– « ماذا تريد » سمع ناتاشا نفسها تقول وأنفاسها متقطعة . ولعنت بينها وبين نفسها الضعف في صوتها وحماقتها لسؤالها هذا .

ضحك بصوت ناعم خطير وبدت أسنانه البيضاء في ظلمة الحديقة .

– « يالهذه السذاجة ! .. تبدين في السادسة من عمرك .. تعرفين يا عزيزتي ماذا أريد ... » خطا بتجاهها ، أما هي فقد بقيت مسمرة مكانها ، أمسك بها وانزلقت يداه داخل السترة . ارتعدت بشدة فهمس عندما لاحظ رد فعلها :

– « كنت أود القيام بذلك طوال هذه الأمسية »

ازاح السترة من على كتفيها وأوثق حركتها بذراعيه ذات العضلات القوية التي شعرت بها من فوق قماش ثيابها ، وأمال رأسه تجاهها .

أصابها الهلع عندما اكتشفت حماقتها من عدم هروبها . جف حلقها .كانت ترى بياض عينيه واضحا . ويعكس ضوء القمر وميض قزحية عينيه . وترى أيضا زاوية فكّه وتقوسْ فمه القوي ..

هل هي مجنونة ؟ هل نفث سحر جعلها ساكنة وخاضعة .. ؟

www.elromancia.com

وقال بنعومة :

- « كنت أود القيام بذلك طوال هذه الأمسية » .

حاولت أن تخلص نفسها منه لكن فات الوقت ...

أدارت رأسها لتتجنب قبلته ، لكنه منعها بها وضمها بين ذراعية ولكنها لم تُرد ذلك بل أخذت تحاول أن توقفه عن عبثه ، رغم افتتانه بجمالها ثم شعرت وكأن ماءً مثلجاً قد صب فوقها .. إن هذه العودة المفاجئة للواقع جعلتها تثور ضد نفسها .

إن اضطرارها للسفر - كجزء من عملها - فيه مخاطرة كبيرة. فكم من مرة حاولت أن تصد محاولات الرجال في التقرب منها .. لم تتساهل مع أي منهم ولو حتى في علاقة مختصرة . فذلك شيء تمقته بشدة . لن تكون على علاقة إلا مع شخص واحد شخص تحبه .. وهذا ما دعا إيما إلى توبيخها ساخرة بقولها عنها بأنها من الطراز القديم ...

هاهي الآن في حديقة منزل الأسرة تسمح لرجل - وليس إي رجل ، بل رجل تكرهه ولا تثق فيه - أن يعانقها .. وذلك ما أعطاه انطباعا أنها مستعدة لتلبية ما يرغب ....

بدت بعض مشاعرها واضحة في وجهها فقد حررها فجأة ووقف يراقبها ... منتظرا .

لم تعرف ما كان سيحدث ، لو لم تسمع صوت والدتها يناديها ؟ وشعرت بامتنان وارتياح هائلين لتخلصها من إعطاء أي تفسير ، ولم تقل أكثر من : «يجب أن أذهب» ، قبل أن تركض بعيدا عنه .

تذكرت وهي تساعد والدتها بتقديم القهوة للمدعوين ، أنها تركت سترة عمتها في الحديقة ، فشحب وجهها فجأة مما دعا والدتها أن تسألها بقلق:

- « ناتاشا، هل أنت بخير ؟ كل ما أخشاه أن تصابي بالبرد، الآن في الصيف . ما الذي دعاك للذهاب إلى الحديقة ؟ »

- « كنت أعاني من صداع وأردت استنشاق بعض الهواء النقي » أجابت بتوتر وهي تختلس النظر باحثة عن لوك تمبلكومب.

وبعد نصف ساعة عرفت من إيما أنه قد غادر .

- « بإمكانك أن تسترخي الآن .. » . قالت ابنة عمتها بابتهاج . « لقد ذهب لوك ، شكرا لله ، أوه .. وشكرا لك أنك أخبرته هو وريتشارد بأنك أنت من غادر منزل جيك » .

أجابتها ناتاشا قائلة :

- « مازلتُ أعتقد أنه من الأفضل أن تخبري ريتشارد بالحقيقة ، فهو يحبك وأنا متأكدة أنه سيفهم الأمر ؟ »

– « ليس الآن » . قالت إيما بإيجابية وتابعت : « إنه يحبني ، لكن ليس لدرجة تأكده مني تماما حتى يصدق بأنني قضيت الليلة مع جيك في العمل فقط .. لقد كنتُ محقة بما أخبرتك به عن لوك ، أليس كذلك ؟ إنه مخيف فعلاً . صحيح إنه جميل المظهر ويروق للنساء . لكني أشك أنه من الداخل بارد وقاسٍ كالجليد .. لا أستطيع أن أتصوره غارقا في الحب ... يقول ريتشارد إنه ضد الزواج ، فهو يعتبره شِركا .

كان والداه غير سعيدين معاً .. لكن بما أن أباه من عائلة تمبلكومب فلم يكن هناك مجالا للطلاق . مات والده ولوك في الرابعة عشرة ، لتناوله جرعة مفرطة من الحبوب المنومه ... وتقول السلطات إن موته كان عرضياً ، لكن لوك مؤمن تماماً أن والده قتل نفسه (انتحر) عندما تركته زوجته لأنها كانت على علاقة مع رجل آخر .. وهرب لوك من المنزل في السادسة عشرة ، يجول العالم ويعمل أي شيء .. إن ريتشارد يشعر بالأسف لأجله فما رأيك ؟»

– « إنه بالتأكيد ليس أي رجل » أجابت ناتاشا بطريقة جوفاء ...

من المستحيل ألا تشعر بالشفقة على الطفل غير السعيد ، لكن لوك لم يكن طفلا – كان رجلا – رجلا قاسيا ، ساخراً ، خطيراً . رجل كاد أن يغرر بها بسهولة دون احترام لها كإمرأة ... ارتعشت باضطراب وقررت ما أن ينتهي حفل هذه الليلة ، حتى تلقى بثوب إيما وجواربها وحذائها ذي الكعب العالي في النار .. وإذا طلبت إيما منها أي مساعدة ، فإنها سترفض بلا ريب ...

سألتها إيما بفضول :

– « ماذا حدث .. ؟ تبدين وكأنك تفكرين في قتل شخص ما ! ؟»

– « هل يدهشكِ لو أخبرتك أن هذا الشخص هو أنتِ ... ؟ إيما ، لا تطلبي مني بعد الآن أي معروف ، فإنني لن ألبيه لك ... »

– « ماذا .. ؟ حتى ولو طلبتُ منك أن تكوني عرّابة طفلنا الأول ؟ »

قالت إيما ، ثم ضحكت وهي تسمع ناتاشا تقول بحماس :

– « لا ، إذا كان سيرث منك قابليتك للتورط في المشاكل » .

الفصل الرابع

– « كيف أبدو ؟ .. هل الطرحة على ما يرام ؟ » هكذا سألت إيما بقلق للمرة العاشرة.

– « إنها على ما يرام ، كما أنك تبدين رائعة» أكدت لها ناتاشا بصدق .

كانت تبدو فعلا عروسا تخطف الأبصار بالطرحة وثوب الزفاف الحريري بلون الكريم الذي كانا يخصا جدتها .

وما أن أصبحت جاهزة للذهاب إلى الكنيسة مع سارة –الأشبينة الثانية– انحنت ناتاشا تقبل وجه ابنة عمتها . وساعدها هبوط السلم بإمساك ذيل الثوب . وهي تستحث سارة في الإسراع لقد بدت ناتاشا وسارة – إشبينتي العروس – بثوبيها بلون الكريم وحزام بلون الشمس جميلتي المظهر .

شكرا لله ، فلوك تمبلكومب لن يحضر الزفاف ، وناتاشا لا تزال خائفة ومتأثرة من اندفاعها في حفل العشاء.

لحسن الحظ فاليوم صيفي مشمس . والجميع في المنزل منهمك في التحضير لحفل الزفاف .فحفل الاستقبال سيقام هنا في سرادق المنزل ، وقد أحضروا فريقا من العاملين والطهاة منذ يومين .

ركبت ناتاشا وسارة في سيارة ، بينما ذهبت إيما في سيارة والد ناتاشا ، وأسرع الجميع لإتمام مراسم الزفاف في الكنيسة .

وما أن وصلت ناتاشا وسارة حتى سمعت والدتها تقول :

– « بسرعة ، إن ريتشارد أصبح عصبيا من الانتظار »

تذكرت ناتاشا فجأة . عناق إيما لها في ذلك اليوم والدموع تملأ عينيها وهي تهمس :

– « شكرا على كل شَيء يا ناتاشا ، خصوصا موضوع لوك ومنزل جيك . شكرا لله إنه لن يحضر حفل الزفاف . لقد كنت مثل قطة خائفة » .

– « كنت متأكدة أنه لن يفعل أي شيء فهذا ليس أسلوبه » .

حدقت فيها إيما لتقول شيئا ثم توقفت وغرقت في أفكارها ولحسن حظ ناتاشا ، لم تلاحظ المرارة التي ظهرت في صوتها ..

www.elromancia.com

إنها لن تنسى أبدا طريقة معاملته لها في الحديقة .. تشعر بالعرق يتصبب منها كلما تذكرت ذلك ، وتخجل لمعرفتها أنه أثارها .

أعادها وصول والدها وإيما إلى الواقع . وما كادت تسرع تجاه ابنة عمتها لمساعدتها في رفع ذيل ثوبها حتى سمعت سارة تقول بسرور:

– « أوه ، جيد .. إنه لوك .. لقد أتى رغم كل شيء ! » .

هل لوك هنا ؟ لا شك أن سارة مخطئة ، فقد أكد عدم قدرته على الحضور .. لا يمكن أن يكون قد غير رأيه .

ولسبب ما ، خفق قلب ناتاشا ، وتحركت مسرعة تجاه إيما وهي تسحب سارة معها .. بينما هذه الأخيرة تنادي لوك وتلوح له بانفعال .

تجاهلت ناتاشا محاولاتها لإدارة رأسها تجاهه ، وشدت على ذراع سارة وهمست قائلة :

– « ليس الآن سارة .. بإمكانك التحدث مع لوك بعد قليل » .

أما إيما – ولحسن الحظ – فلم تلاحظ ما جرى ، لقد كانت مشغولة بشرائط الطرحة .

دخل الجميع إلى الكنيسة وتمت مراسم الزواج .. ليس بإمكان لوك تمبلكومب أن يفعل شيئا سألت ناتاشا نفسها ، ماذا يفعل هنا ؟ كان متأكدا أنه لن يحضر الزفاف ، وها هو الآن ... لم يكن لديها أية فكرة أين يجلس ، ولم تحاول أن تنظر باحثة عنه ، لكن سارة هتفت فجأة وهي تنادي : «لوك» .

التفتت ناتاشا .. التقت نظراتهما للحظة . ومضت عيناه بنظرات قاتمة ومتحدية مما جعل نبضها يتسارع في حلقها وأحست بنظراته تحرق بشرتها ...

شعرت بالوهن والخوف . لماذا ؟ لماذا تخاف ؟ ما الذي يمكن أن يفعله هنا بين أصدقائها وأسرتها ؟ ماذا يريد أن يفعل بها ؟ .. لقد أتى ليشاهد زواج ريتشارد وهذا كل شيء ...

وفي الخارج ، شعرت بالبرد والارتجاف رغم حرارة الشمس كل ما حولها هو أصوات ضحكات وهتافات التهنئة. وركب الجميع السيارات التي كانت تنتظرهم.

– « هل أنت بخير ؟ » ...

سؤال سارة المفاجيء جعل ناتاشا تفتح عينيها ، وأجابت قائلة :

www.elromancia.com

– « نعم أنا بخير ، لماذا ؟ »

– « تبدين مرعبة » . قالت سارة بأسلوب غير لبق وتابعت :

« إنك شاحبة جدا .. هل كنت تودين الزواج من ريتشارد »

– « بالطبع لا » . أجابت ناتاشا « إنني أعاني من صداع هذا كل شيء »

اقتنعت سارة بجوابها وغيرت موضوع الحديث فورا . قائلة وهي تبدو في منتهى السعادة :

– « إنني مسرورة جدا لأن لوك هنا .. إنه شخص رائع ! »

التوى فم ناتاشا بسخرية بينما تابعت سارة ثرثرتها :

– «سأحاول جعله يجلس بجانبي ، وسأغير بطاقات الجلوس»

– « لا يمكنك ذلك » أجابت ناتاشا بحدة . « تذكري أنك ستجلسين في أقرب طاولة » .

مطت سارة شفتيها استياءً وقالت :

– «حسنا . أظن إيما قد جعلت مكان جلوسي قرب ولد ما..»

– « ليس لدي أي فكرة » ردت ناتاشا باختصار .

ونبض قلبها خوفا أن تجد نفسها تجلس مع لوك في نفس

الطاولة . لكن لماذا ؟ لماذا تشعر بهذا الخوف .. ؟ إنها تشعر بالعداء والتنافر والامتعاض ، لكن لم الخوف ؟ بالتأكيد ليس من تكرار عناقه المتوحش لها .

توقفت السيارة أمام المنزل ، ثم وصلت السيارات الأخرى : إيما وريتشارد ، والدا ناتاشا ، عائلة ريتشارد ، ومن ثم نزل لوك من سيارته الجاكوار الفخمة وهو يبدو مختلفا بطريقة ما عن باقي المدعوين .

شاهدته إيما ، وعبر وجهها عن السخط ، همست لزوجها الجديد :

– « ماذا يفعل هنا ؟ »

بدا ريتشارد حائراً وأجاب :

– « لا أعرف ؟ لقد قال إنه لن يستطيع الحضور ... »

« إن ذلك سيربك الجميع » أجابت إيما ناقمة .

بدا ريتشارد عاجزا عن الرد فاقترحت ناتاشا وهي تقول محاولة تلطيف الموقف :

– « بإمكاننا أن نحشره في مكان ما » .

www.elromancia.com

أي مكان شرط أن يكون بعيدا عنها لأقصى درجة وتابعت قائلة :

– « سأذهب لأتدبر الأمر » .

أسرعت إلى المطبخ وتحدثت مع كبير فريق المشرفين على الطعام فأكد لها إمكانية تدبير مكان في إحدى الطاولات . وتباطأت لعدة ثوان ثم تذكرت أن عليها مهام أخرى لكونها أشبينة إيما .

عندما عادت إلى الحديقة وجدت المصورين يحيطون بإيما وريتشارد . راقبتهم شاردة الفكر فقد كانت جميع حواسها مشدودة تبحث عن لوك كي تتجنبه .

– « أوه ، ناتاشا عزيزتي ... »

ابتسمت آلياً لوالدة ريتشارد ، وشعرت بالبرد فجأة عندما رأت لوك معها .

– « لقد التقيت بلوك .. إن حضوره الزفاف لمفاجأة حقاً »

لم تقل ناتاشا شيئا وأشاحت بوجهها ، ثم عضت على أسنانها عندما خطا بتعمد ووقف مواجها لنظرها .

كانت عيناها على مستوى فكه فلاحظت نمو شعر ذقنه .

– « لوك ، أنت تذكر ناتاشا ابنة عمة إيما أليس كذلك ؟ » سألت والدة ريتشارد .

– « بالطبع ، لكنها تبدو مختلفة تماما ... » قال بنعومة .

شعرت بالامتعاض وارتفاع حرارتها ولاحظت أنه ينظر إليها كما ينظر القط إلى جحر الفأر .

– « أرجو المعذرة » قالت ببرود وتابعت « إنهم ينتظرون انتهاء التصوير » .

مشت مبتعدة .. كيف يجرؤ على النظر إليها بهذه الطريقة ..؟

تخبرها نصف الابتسامة الساخرة التي تعلو وجهه أنه يعلم جميع أسرارها وحساسيتها المفرطة ، بينما هو في الحقيقة لا يعرف أي شيء .. أي شيء أبداً .

– « ألن ترقصي؟ »

تصلب جسم ناتاشا لدى سماعها صوت لوك . كانت قد غادرت السرادق وخرجت لبضع دقائق تستريح من عناء الجهد المتواصل الذي بذلته كي تستمر في الحديث مع المدعوين وتحافظ على ابتسامتها ، وكي تتجنب لوك في نفس الوقت .

www.elromancia.com

ها هو الآن بقربها .. شعرت بسخونة وضعف في جسمها وبوخز في عمودها الفقري من شدة التوتر .

– « أود أن أبقى وحدي لبضع دقائق »

قالت بحدة ولن تلتفت نحوه ليس خوفا من مجابهته ، فما الذي فعلته .. ؟ لا شيء أكثر من أنها أعطته انطباعا كاذبا عنها بأنها فتاة جميلة .. لابد أن عشرات النساء يعطينه نفس الانطباع فليس فيها ما هو جدير بالملاحظة ، ولا يوجد ما يدعوه لإيقاظ مشاعرها هكذا ... إنه لا يريدها وهي أيضا لا تريده ، ومع ذلك

... ارتعدت وجفلت عندما اقترب منها ولمس كتفها .

– « هل تشعرين بالبرد ؟ »

وهمس لها :

– « تبدو ابنة عمة العروس الباردة المحتشمة مثالا عما تعتقده جيلُ والدة ريتشارد» .

كان صوته ساخرا ثم أصبحت نبراته أكثر خطورة وحدة .

وتابع قائلا :

– « بالرغم من أننا عندما تقابلنا في آخر مرة ، كنتِ مثالا لامرأة لعوب مستهترة ، امرأة كلها عاطفة ورغبة » .

– « يجب أن أذهب » قالت بصوت ضعيف متردد . ولم تكن تريد أن تبدو بهذا التردد والضعف .

– « ليس الآن ... لن يلاحظ أحد غيابنا لفترة بسيطة » .

خفق قلبها بشدة . إنها لا تود البقاء معه وحدهما ، بل مع أي شخص آخر حيث تشعر بالإطمئنان ... الإطمئنان مماذا ؟ إنه لا يهددها .. رفع يده عن كتفها فشعرت بالبرودة .

– « هل تعلمين أنك تجذبين اهتمامي ؟ قال ذلك متحركا كي يصبح في مواجهتها .

– « أوه ، أعتقد أن هذا إطراء »

– « حقا ؟ » .

أحست بألم في معدتها ، فهو يعرف الكثير ... الكثير جدا .

خطت مبتعدة وهي تزفر بارتياح لأنها أصبحت بعيدة وآمنة منه .

– « ليس الآن » قال بنعومة « ألا تعلمين سبب وجودي هنا اليوم ؟ »

– « لا » هزت رأسها رافضة .

لماذا تدعه يحتويها ، بل حاولت الإفلات منه ... وحاولت جاهدة التخلص منه .

– « لوك .. لوك ، أين أنت »

زفرت ناتاشا بارتياح لدى سماعها صوت سارة .

– « لوك لقد وعدتني بهذه الرقصة »

أفلت ناتاشا وهو يطلق شتيمة ، فشاهدت في ضوء القمر أن فمه مشدود من الغضب ، لم يكن يريد إفلاتها .

– « أوه ها أنتما .. هذه رقصتنا لوك .. » اقتربت سارة مسرعة وتابعت موجهة كلامها لناتاشا :

– « إيما تريدك » .

شعرت ناتاشا بالسعادة لتخلصها منه .

– « تبدين شاحبة . هل أنت بخير ؟ » سألتها إيما عندما صعدتا إلى غرفتها .

– « نعم إنني بخير »

– « إنه لوهم أن ينقلب لوك بهذا الشكل .. ! لقد قدّم لنا شيكا سخياً جداً »

– « وهل ذلك يجعل كل شيء على ما يرام؟ » سألت ناتاشا بمرارة وتابعت :

– « إيما ... منذ أقل من شهر كنت مقتنعة أن هذا الرجل سيدمر حياتك كلها »

– « حسنا ، هذا ما اعتقدته سابقاً .. لكنني لازلت أظن أنه كان سيقوم بشيء مالم تتظاهري بأنك أنا . هل قال لك شيئاً آخر عن ذلك ؟ » سألتها بقلق .

– « لا » أجابت ناتاشا بجفاف .

إن لوك يرقص في السرادق مع سارة .. حدثت ناتاشا نفسها ، فهي مسرورة لأن أخت ريتشارد الصغرى قد قطعت عليهما ، فآخر ما تريده هو أن تتحمل مودته الحميمة . ولامست عفويا بأطراف أصابعها مكان قبلته ، إنها تشعر بفم لوك على خدها ...

www.elromancia.com

أحست بعد ذهاب المدعوين بما فيهم لوك بالإنهاك كما لم تحس طوال حياتها .. بسبب الجهد الذي بذلته كي تتجنب لوك – كي تتجنب الازدواجية في استجابتها له – فالظاهر هو امتعاضها وحنقها وغضبها أما في الباطن .. يتدفق تيار من المشاعر والرغبة والعواطف غير المألوفة لها ..

إنها لا تريد هذه العواطف ، ويمكنها السيطرة عليها ، فلا مكان لهذه الأمور في حياتها .. ولا حتى لوك تمبلكومب .

الفصل الخامس

لماذا يرن جرس الهاتف دائما بإلحاح عندما تكون صاعدة أو نازلة على سلم منزلها ، وما أن تصل حتى يكف عن الرنين ؟ هكذا تساءلت ناتاشا بتجهم – بعد ثلاثة أسابيع من حفل الزفاف – وهي ترتقي السلم مسرعة وصلت منقطعة الأنفاس إلى غرفة السماعة وهي تقول بسرعة : «ناتاشا لاسي» الصمت البسيط ، أوحى لها بهاجس ما ، وسمعت رجل يقول متشدقا بسخرية :

« دائما ناتاشا لاسي منقطعة الأنفاس »

هذا الصوت اللاهي مميز تماما بالنسبة لها ، اعتراها احساس حارق ومن ثم الذعر والخوف ،

لماذا يتصل لوك تمبلكومب بها ؟ . حاولت التظاهر أنها لم تتعرف على صوته ، بل أنها لا تذكر صاحبه . لكن شيئا ما حذرها أنها لو فعلت ذلك فستدخل في لعبة خطرة . فهو شخص خبير وماهر وهي لا موهبة عندها ولذلك قالت بأقصى ما تستطيع في برود :

– « لوك ، ما هذه المفاجأة غير المتوقعة .. ! إذا كنت تسأل عن أهل ريتشارد فهم غادروا لبضعة أيام» . لم يتابع معها هذه الرواية المهذبة التي حدثته بها . وقال بعد توقف بسيط :

– « لا ، إنني أردت التكلم معك . لدي عمل في المدينة الأسبوع القادم . كان لطفا من أهل ريتشارد أن يسمحوا لي باستخدام هذا الجزء من الكنيسة . لذلك سأمكث فيه ثلاثة أيام . وأريد أن أدعوك إلى العشاء »

ذهلت ناتاشا وهي تحدق عبر النافذة مشوشة الذهن ، فلم تتوقع أبدا أن يتصل بها لوك ، ولم تتصور في أعمال مخيلتها أنه سيدعوها في يوم ما لقضاء أمسية معه . إن الغرفة دافئة جدا من الشمس طوال النهار وقد تصببت عرقا عندما اندفعت إليها لتجيب على الهاتف ، أما الآن فقد أقشعر جسدها ...

حاولت بصعوبة أن تطرد الأحاسيس التي ايقظها لوك وهي بين ذراعيه .. وحدثت نفسها أنه لم يفعل ذلك إلا ليعاقبها فعواطفه بعيده عنه . تُرى كيف كان سيعاملها لو تقابلا في ظروف مختلفة وتعرُّف عليها كما هي ناتاشا الحقيقية ؟

إنها غلطتها أن تدعه يتصرف بذلك الأسلوب فقد بدت ساذجة وغير حصينة . ولم تصدق إنها استجابت لشخص لا تحبه. مزها أن تكتشف أن بداخلها يكمن بعض التهور والطيش فذلك مناقض لتصرفاتها التي تتحكم بها دائما .

والآن يتصل بها لوك يدعوها لقضاء وقت معه .. إنها ليست غبية فهو قطعا لا يريد صحبتها .

أخذت نفسا عميقا وقالت : « أسفة فذلك غير ممكن »

صمتت فترة طويلة ، وحدثت نفسها قائلة : من الواضح أنه لم يعتد أن يُرفض له طلب . لكن إذا ما قبلت دعوته فربما قادها ذلك إلى تعقيدات في غنى عنها وعليها ، ألا تدعه يتصل بها بعد الآن .

– « إذن أنت مرتبطة الأسبوع القادم ! » تساءل بنعومة .

وأجابت بتصميم :

– « أسفه ، إنني لست حرة أبداً »

– « أوه ، فهمت »

كم تعني هاتان الكلمتان بما تخبئان من تلميح ... »

يجب عليها الآن أن تقول «وداعا» وتضع السماعة . لكن الحافز الذي دعاها لمساعدة إيما دفعها أن تضيف قائلة :

– « في الحقيقة ، لماذا تعتقد أنني أريد رؤيتك مرة أخرى »

صمت قليلا ، فشعرت أنها قد أحرزت هيمنه عليه ، ثم أتت كلماته ناعمة :

– « حقا ، لدي قصص عديدة أحدثك عنها ، على أي حال نسيتُ أنك مرتبطة بشخص . وأفهم جيدا كونك لا ترغبين أن تظهري بمظهر إمرأة تخرج مع رجلين ، أعذريني ، إنني أقل ذكاء مما كنتُ أعتقد نفسي ، وربما تكونين قد تورطتِ في مكان آخر..»

شدت أصابعها على السماعة ، فقد شعرت بغضب مهين يحرق جسدها . كيف يجرؤ على قول هذه الكلمات ! حاولت أن يعرف كم هو مخطىء وأن تعبر عن غضبها وامتعاضها وأجابت بصوت جليدي :

– « حتى ولو لم أكن كما تقول ، فإنني أؤكد لك إنني لست مهتمة أبدا باستمرار معرفتنا ببعض » .

وسمعته يقول بسخرية وهي تضع السماعة :

– « أتعنين أنك وحيدة ؟ .. إنها ليست الإشارة التي فهمتها أبداً .. »

ياله من رجل بغيض .. بغيض جدا . كيف يجرؤ على تلك الافتراضات والمقترحات ؟

كانت لا تزال تذرع الغرفة ذهابا وإيابا عندما رن جرس الهاتف مرة ثانية . نظرت إليه متشككة ثم حدثت نفسها قائلة إنه من الغباء ألا تجيب ...

لم يكن المتحدث لوك تمبلكومب .. ولم تشعر بالإرتياح لذلك...! بل حاولت أن تركز تفكيرها على المكالمة . كانت مكالمة طويلة جعلتها تشعر بالابتهاج ، فهي لن تتلقى كل يوم مُهمة كتلك التي تلقتها الآن ، لكن وفي نفس الوقت تشعر بالإرتياح والقلق ...

لقد كانت دعوة كي تختار وتعطي السعر في الأقمشة اللازمة لمنزل عزبة كارولين والذي يتم تحويله الآن إلى فندق خاص . إنها دعوة ليست عادية تُعرض على شخص في مثل منصبها .. !

ما طمأنها هو قول صاحب الفندق أنه شاهد صدفة بعض

www.elromancia.com

الأقمشة التي تصنع في معمل والدها وأعجبته جدا ، لذلك بحث عن المصنع واتصل بناتاشا .

إن ما يهمه هو الإبقاء على طابع المنزل والأخذ بعين الاعتبار أن تكون الأقمشة جيدة ومناسبة . واقترح عليها أن تقضي أسبوعا في المنزل كضيفه عليه ، فبذلك تجد الوقت الكافي للتأقلم مع جو المنزل وطرازه المعماري ، فهو يفضل الأخذ بآراء ومقترحات شخص ذي إحساس حقيقي بدلا من شخص يهتم بالأقمشة الحديثة ....

إن في المعرض نوعا من التحدي الذي تحلم به ناتاشا دائما ، لكنها لم تتخيل أبدا أن يأتي يوم ويتحقق ..

لو كانت تلقت عرضا كهذا قبل أن تتعرف على لوك تمبلكومب، لكانت لديها أفكار وابتكارات عديدية ..

إنها تنفر قليلا من قبول هذه المهمة لأنها ستغادر المدينة في الفترة التي سيزورها لوك .

لماذا تعتقد .. وبمعجزة ما - أن لوك سيراها قريبا ، وسيعرف أنه أخطأ بحكمه عليها ويعلن فورا بأنه يفضلُ ناتاشا

الحقيقية .. إنها لا شك غبية باعتقادها هذا ..

لقد تجنبت طوال حياتها التورط في أي علاقة ترتكز على رغبة رجل دون عاطفة .

تعرف أن داخل نفسها تكمن عواطف عميقة لن تعطيها إلا لرجل واحد تحبه ويحبها ... لكن الذي لا تعرفه كيف استطاع رجل مثل لوك أن يوقظ عواطفها الكامنة بتلك السهولة ! .

وعزمت أن تبعد لوك عن تفكيرها وأن تقبل بالمهمة التي عرضت عليها ....

لكنها غضبت من نفسها لعدم قدرتها على طرد لوك من ذاكرتها ، وذهبت إلى حديقة منزل والديها محاولة أن تتخلص من ألم الرأس المتواصل الذي أصابها من قلة النوم واضطرابها الذهني ...

لم تكن تظن نفسها أنها بهذا الجنون لتغرق في أحلام مع رجل يختلف تماما مع أفكارها ومعتقداتها ، ولتميل كمراهقة إلى رجل جذبها بحبه ..

www.elromancia.com

كطفلة – كانت ناتاشا تقف دائما على الجسر وتنظر إلى الماء المتدفق في الأسفل وتعرف شعور الخطر لو أنها وقعت فيه... إنها الآن تعيش هذا الشعور مرة ثانية ، لكن لوك تمبلكومب هو المغناطيس الذي يشدها ...

– « عزيزتي ! ليست أزهاري ما يجعلك في هذا الذهول ! »

رسمت ناتاشا ابتسامة على وجهها عندما شاهدت عمتها تقترب ، لكنها لم تنجح في ذلك ، فقد سألتها عمتها وهي تقف جانبها :

– ناتاشا ، هل هناك شيء ما .. ؟ هل عرض العمل الجديد ؟ أعرف أنها فرصة رائعة ، لكن .. ؟

– « لا ، ليس العمل الجديد » أكدت لها ناتاشا

فسألتها عمتها هيلين مستفسرة :

– « هناك شيء آخر إذن »

حاولت ناتاشا أن تكذب ، فهي امرأة وليست طفلة وعليها أن تحل مشكلتها بنفسها فالحديث عنها لا يزيد شيئا .. إنها متأكدة

من حسن قرارها وهو إيضاحها للوك تمبلكومب بأنها لا تريد الاستمرار في أي علاقة معه .

لكنها لم تستطع أن تبتدع أي كذبة فأجابت قائلة :

– « ليس هناك أي شيء ، عدا إنني وضعت نفسي في هذا الموقف مع شخص ما ، و ... »

– « أتصور أنك تعنين بكلمة « شخص ما » لوك تمبلكومب .

قاطعتها عمتها .. إن هذه الفتاة حساسة جدا وتختلف تماما عن ابنتها المتهورة .

اهتزت ناتاشا من كلامها وسألتها :

– « كيف عرفتِ ؟ أعني ... »

– « لقد رأيته يتبعك إلى الحديقة في تلك الأمسية . يوم حفل العشاء الذي سبق زفاف إيما »

أغمضت ناتاشا عينيها بيأس ثم فتحتهما وهي تتوق فجأة أن تُفضي بهمومها ...

– « لنذهب ونجلس » اقترحت عمتها وهي تقودها إلى مقعد حجري ظليل. وما أن جلستا ، حتى وجدت ناتاشا نفسها تنهمر

www.elromancia.com

بفيض من الكلمات المضطربة بأسلوب لا يشبه إسلوب كلامها الموجز عادة ، لدرجة أن هيلين لاسي اضطرت أن تركز انتباهها ، وقد وضعت اللوم على ابنتها الطائشة لأنها ورطت ناتاشا بمشاكلها دون أي اعتبار لم سيحدث من عواقب .

– « بسبب طريقة ملابسك أخطأ لوك في الحكم عليك ، ولكونكِ .. »

– « تحبين جيك بيندراغون » وافقت ناتاشا مقاطعة :

– « إن إيما تصرفت بطريقة سيئة جدا ، فقد زجت بك بمشاكلها . أعتقد بأنه ليس من المستحيل إعلام لوك بالحقيقة » جازفت هيلين بقولها هذا وهي تشك بأن القصة أكثر مما سمعته..

– « لا أستطيع أن أخبره بالحقيقة » . ردت ناتاشا .

لا تستطيع ليس بسبب إيما فقط ، إن كبرياءها لا يسمح لها القيام بذلك ، وليس كبرياؤها فقط ، لكنها لا تريد أن ترى النظرة التي ستظهر في عينيه عندما يعلم الحقيقة أنها إمرأة وافقت أن تقع في شرك دور لا يناسبها إطلاقا .

نظرت ناتاشا إلى عمتها ، وعرفت بأنها قد فسرت كل عواطفها .

– « أوه ، يا عزيزتي » هكذا علقت عمتها بلطافة .

وتابعت هيلين قائلة :

– « ثم تصادف أن تلقيت العرض في أسوأ وقت »

–«نعم» وافقتها ناتاشا .

– « هم ... م ، إنه شاب خطير ، لقد عرفت ذلك منذ اللحظة التي رأيته فيها ، لكنني أستغرب منك كيف تقولين له عندما اتصل بك هاتفيا ، إنك مرتبطة بشخص آخر الآن ؟ »

–« لقد كانت الطريقة الوحيدة التي توقفه عند حده »

وجفلت قليلا عندما تذكرت تعليقه الفظ .

– « ربما » وافقتها عمتها وتابعت قائلة :

« رغم أنه أعجبني كرجل بقى صامدا في وجه التحديات والمصاعب التي وضعتها الحياة في طريقه . وكما قلتِ ناتاشا ، فمن الأفضل أن تبقي بعيدة عنه في الأسابيع القادمة إنه حذاب جدا ، ويرفض وجوده بسهولة »

– « كما النار ... لا يمكنك الاقتراب منها كثيرا » أجابت ناتاشا بجفاف .

نظرت إليها عمتها نظرة ماكرة وابتسمت قائلة :

– «وصلت إلى هذه السن ولم أنس كيف يكون شعور الفتاة..»

وتابعت :

« أنظري فقط إلى عينيه وترين كم هما جميلتا اللون .. » ثم غيّرت مجرى الحديث وهما تغادران مكان جلوسهما وتتجهان إلى المنزل : « في هذا الوقت من السنة يبدو هذا الحاجز بأفضل حالاته . وأفكر أن أجعله أجمل ، وأزرع في أسفله نباتات مزهرة دائمة الخضرة » .

واستمرتا في مناقشة أمور الحديقة إلى أن دخلتا من الباب الخلفي ، تركتها عمتها قائلة إنها ستتفحص البازلاء التي تقوم بطهيها .

وفي الأيام التالية وقبل مغادرتها إلى عزبة ستونلوفل ، استطاعت ناتاشا بكل شجاعة أن تبعد أفكارها عن لوك تمبلكومب

وإن لم يكن ذلك سهلا . وقد ساعدها على ذلك استعدادتها للمهمة الجديدة الموكلة إليها ، لقد اكسبتها رحلاتها إلى فلورنسا بمخزون ممتاز من المعرفة ، فقد اطلعت على نماذج عديدة متنوعة من الأقمشة المزدانة بالرسوم والدامسكو ، وتدون الآن اقتراحها على ليو روسنبرغ.

ففي فلورنسا يوجد نساجون ماهرون في نسخ أي قماش يرغبه الزبون ، وإنتاجه بمهاره فائقة كما لو كان منذ قرون عديدة . لقد زارت محلاتهم الصغيرة القديمة في الشوارع الضيقة . إنهم يطلبون أسعارا مرتفعة بالطبع ، لكنها أخذت انطباعا عن ليو روسنبرغ بأن المشروع الذي سيقيمه يعني له أكثر من مجرد مغامرة تجارية . نصحها والدها أن تستشير المصرف . فهي تؤسس عملها الخاص . فربما يغير الزبون رأيه ، عندها ستواجه صعوبات مالية وسترهقها الديون التي لن تستطيع تسديدها .

كان تقرير المصرف جيدا . وأخبرها محاميها أن ليو روسنبرغ رجل في بداية الخمسين من عمره ومعروف عنه بأنه ملتزم دائما وحكيم في أمور البيع والشراء .

عرض والد ناتاشا عليها بعد أن تأكد أن ابنته لن تقع في مشاكل مالية ، بتقديم أي مساعدة تحتاجها لإكمال مهمتها ، فذكرته ، وهي منكبة فوق الخرائط تراجع أفضل الطرق المؤدية من منزلها إلى العزبة : « عليّ أن أحصل على ذلك أولا .. »

وقررت أن تغادر قبل يوم كامل مما خططت له . فقد صحت في منتصف الليل فجأة على حلم بأن لوك تمبلكومب ظهر على باب منزلها .. هل تتوق لرؤيته أم أنه شعور سبقي ؟

إنها لن تدع أي شخص أو أي شيء يتحكم في حياتها ، ولن تتنازل عن قرار اتخذته فذلك ليس أسلوبها أبدا . ولذلك قررت المغادرة قبل اليوم المحدد وأجرت اتصالا سريعا بليو روسنبرغ . أجابتها سكرتيرته قائلة :

– « إنه في الخارج الآن ، ومن المفروض أن يعود غدا ، لكن تم ترتيب غرفة لك ، وطاقم المنزل على علم بوصولك . إن المكان الآن مليء بالعمال وبإمكانك أن تُلقي نظرة حول المنزل ليو يود الحديث معك عن أفكاره ومشاريعه » .

وما أن عرفت بأنها ستنطلق في الصباح الباكر من اليوم

التالي ، حتى سارعت تراجع نماذج الأقمشة التي ستأخذها معها ، والحقيبة المليئة بالصور المختارة من مجلات متنوعة ، والمنشورات التي حصلت عليها من مصنّعين ، إضافة إلى دفتر ملاحظاتها المهمة عن رحلاتها إلى فلورنسا .

إن هذا العرض هو أهم تحدي لعملها ولن تسمح لأي شيء أو أي شخص أن يشغلها من أن تعطيه كل انتباهها وخصوصا لوك تمبلكومب .

قالت لوالديها :

– « سأغادر باكر صباح الغد ، لذلك سأقول لكما وداعا من الآن ، فلن أزعجكما صباحا »

سألتها والدتها بقلق :

– « ستتصلين بنا عندما تصلين أليس كذلك ؟ فالطرقات هذه الأيام ... »

فهدأتها ناتاشا قائلة :

– « سأتصل بكما بأقصى سرعة ممكنة »

تتمنى لو كانت لديها الشجاعة الكافية كي تجابه لوك . ليس

في مواجهته ما يخيفها ، بل ما يخيفها هو الرغبة الغريبة التي يقيرها بداخلها بأقل تأثير منه .

لقد أخبرته أنها مشغولة بشخص آخر . ورغم أنها تعرف غريزيا بأنه ليس قديسا ، إلا أنه لا يُجيز للمرأة التي تعرف أن تكون على علاقة بشخص آخر .. ومهما قالت له ووضحت ، إلاأن قلبها فسّر له شيئاً معاكساً وهو يختار أن يصدق القلب . أحست بالقشعريرة عندما تزكرت إحساسها وهي بين ذراعيه ...

وقالت لنفسها : كفيّ عن هذا .. كفيّ عنه الآن وقبل فوات الأوان .. »

شكرا لله ، فمن حسن حظها أنها تلقت هذه المهمة ، لأنها ستبعدها عنه ، وبدونها تشك بمقدرتها على القيام بذلك طواعية ...

الفصل السادس

– « تفضلي .. أبلغنا ليو أن نتوقع وصولك أي لحظة . ليس الجو جميلا هذه الأيام .

تبعت ناتاشا مدبرة منزل ليو روسنبرغ .

لقد وصلت ناتاشا إلى المنزل قبل خمس دقائق . قرعت الجرس وقدمت نفسها .

وما أن دعتها المرأة للدخول حتى تباطأت ناتاشا قليلا تستطلع ما حولها .

– « ينوي ليو الاحتفاظ بغرف الاستقبال كما كانت عليه ، لأقصى ما يمكن . والآن يجري عمل كبير في الطوابق العلوية فيجب تقسيم الغرف والحمامات ، وهلم جرا .. ستعلمين كل شيء عن ذلك بالطبع » .

وقبل أن تؤكد ناتاشا أو تنفي ، قادتها مدبرة المنزل إلى القاعة .

www.elromancia.com

– « اخترنا لك غرفة لن تشعري فيها كثيرا بازعاج العمال ، لكن كما ترين فإن كل شيء فوضى الآن »

واعتذرت وهي ترفع صوتها كي تسمعها ناتاشا ، بسبب صوت صفير الرجال ، وصخب العمال ، وأزيز آلة الحفر الكهربائية . وتابعت قائلة :

– « يجب أن ننام جميعا في الطابق العلوي هذه الأيام .. سنصعد الآن على سلم الخدم إنه ضيق. ينوي ليو تركيب مصعد »

كانت السلالم ضيقة وملتوية كثيرا ، لكن ناتاشا اعتادت على ذلك في منزل والديها ، وعلى علو منزلها الصغير في الطابق الرابع ، ولذلك وصلت بأنفاس متقطعة أقل من مدبرة المنزل .

– « غرفتك من هنا .. لا يوجد حمام خاص ، وغرفة ليو في الناحية الأخرى من المنزل ستكون جناحه الخاص فيما بعد ... وغرفتي في أعلى بيت السلم ، لا يوجد أحد آخر هنا » .

وتوقفت أمام باب مطلي باللون الأبيض وفتحته .

خطت ناتاشا داخل الغرفة المخصصة لها .. إنها غرفة مثالية للعمل ، فهي غرفة واسعة ذات نافذة كبيرة تتجه ناحية الشمال ، مجهزة بسرير مزدوج وكنبتين مريحتين ، ومقعد ، ومسند خاص بالرسم ، ومدفأة ..

– « قال ليو إنك ستحتاجين لمكان خاص تكونين قادرة فيه على العمل والنوم . هذه الغرفة استعملها المهندس المعماري عندما كان يقوم برسم مخططات تحويل المنزل . أمل أن تكون قد أعجبتك »

– « إنها مثالية » . أكدت ناتاشا وهي تبتسم لمدبرة المنزل ابتسامة دافئة ، مما دعاها أن تجيب بابتسامة ارتياح مثلها .

– « حسنا هذا جيد .. أتعلمين لقد كنت خائفة من قدومك .. ! إن ليو يتكلم عن المنزل وكأنه قد تم تحويله تماما ، ناسيا أن ينبه الناس أن العمل مازال جاريا»

– « هل تعرفين ليو منذ فترة طويلة ؟ » جازفت ناتاشا بسؤالها .

– « نعم . كان زوجي يعمل معه منذ البداية .. ثم ، قم قتل جورج في حادث وطلب مني ليو أن آتي وأعمل عنده . لم نرزق أنا وجورج بأطفال ، وليس لنا أسرة .. كان ذلك منذ خمسة عشر عاما . ولازلت مع ليو منذ ذلك الوقت . لقد عرض عليّ أن يرسلني

www.elromancia.com

في دورة خاصة كي أستطيع القيام بشؤون الفندق ما أن ينتهي العمل فيه ... أخبرته بأنها ستكون مسئولية كبيرة »

إذن فإن ليو ، المقاول القاسي كما ذكرت تقارير والدها يملك جانبا إنسانيا .. فكرت ناتاشا وهي تصغي لكلام مدبرة المنزل ... لاشك أن حماسه وحبه للمنزل جعلاه لينا وليس كما يُفترض أن يكون هذا النوع من الرجال ..

- « إذن سأتركك ترتاحين .. سيعود ليو غدا ويريك المكان وما يحيط به »

كانت ناتاشا تأمل أن تستكشف المنزل بنفسها قبل أن تلتقي بليو ، لكنها رأت حجم العمل ، قررت بأنه من الحكمة أن تنتظر حتى يعود ليو روسنبرغ . فسألت مدبرة المنزل :

- « هل بإمكاني استكشاف الحديقة ؟ لن أزعج أي شخص »

- « لم يباشروا العمل في الحديقة الآن ، لذلك يمكنك الذهاب .. قال ليو أن نخبرك بوجود بعض الكتب والأوراق في مكتبه تصف التغيرات العديدة التي حصلت للمنزل خلال سنوات »

وافقتها ناتاشا قائلة :

- « أحب الإطلاع عليهم »

بعد ساعة نزلت ناتاشا تتجول في حديقة المطبخ المهجورة ، وهي تفكر كم كانت عمتها ستتمتع بتجديدها وجعلها كما كانت سابقا .. فجأة ودون أن تعرف كيف ، انزلق الدرع الواقي الذي تحتمي به ووجدت نفيها تفكر في حديقة أخرى ووقت آخر ، في أمسية معينة وشخص معين هو ... لوك ماهذه القصة معها .. ؟ كيف تفتح قلبها وعقلها إلى ألم محتوم سببه لها رجل مثله .. ؟

الجو دافيء هنا في الحديقة ، ومع ذلك كانت تحس بارتعاش جسدها كاملا .. لماذا تحس بذلك ، ولماذا تتألم ، ولماذا تكون ردة فعلها هكذا .. ؟ إن الرجل المسؤول عن كل طلك لم يقدم لها إلا التعب والقلق .. توقفت أمام ما كان في وقت ما سريرا من الأعشاب ، وانحنت آليا تزيح عُشبة كبيرة مختلفة وأفكارها تدور بعيدا في نفس الدائرة ...

- « إنها حديقة مخزية ، أليس كذلك ؟ . شاهدتك تمرين من أمام نافذة مكتبي وفكرتُ من الأفضل أن آتي وأقدم نفسي »

استقامت ناتاشا ، وتورد وجهها قليلا عندما شاهدت عيني الرجل الضاحكتين وهو يدنو منها .

كان رجلا طويلا في أوائل الخمسين من عمره . لا يزال شعره غامقا يتخلله بعض الشيب ، ونو نظرة محدقة جعلتها تشعر بالارتباك من مظهرها .

وقدم نفسه وهو يصافحها بثبات متجاهلا جزئيات التربة العالقة عليها :

– « ليو روسبنرغ » .

وابتسم ابتسامة حقيقية دافئة عندما سألها :

– « هل تعرفين الكثير عن العناية بالحدائق .. ؟ أعترف بأنني لا أعرف أي شيء عن هذا الأمر ، لكنني أحب أن أجدد هذه الحديقة بأقصى سرعة ممكنة بحيث تتماشى مع المندل الذي سيصبح فندقا ، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه يتضمن مساحة لملعب تنس و .. هلم جرا »

– « إنني لست خبيرة في الحدائق » اعترفت ناتاشا وتابعت: « لكن عمتي ماهرة جدا وتحب أن تضع لمساتها في كهذا مبتدئة في نقطة الإنطلاق » ثم توقفت واحمر وجهها خجلا ، وتابعت مرة

ثانية :

– « أسفة ، لقد استرسلت في الكلام عنها ، فقد كنت فكر فيها ، ولم ستستمتع بتحدي هذه الحديقة .

– « إنها تحتاج لتحد ، أليس كذلك ؟ » سألها بمكر

– « أظن ذلك » أجابت ناتاشا وهي تخطو مقتربة منه ، لم تقدم له نفسها ، لكن كان واضحا أنه يعرف من هي .

سألها وهو يومىء برأسه إلى الحديقة :

– « وهل تعرف الكثير عن هذه الأمور ؟ »

– « بمقدار مدهش » وافقت ناتاشا .

– « إنها هوايتها . والحدائق في المنزل عالمها الخاص . لم أشاهدك عندما وصلت هذا المساء ؟ »

تابعت بطريقة رسمية فلم تكن تريده أن يعتقد أنها استغلت غيابه في تضييع الوقت :

– « أخبرتني مدبرة منزلك بأنك ستصل غدا ، وسنتفحص المنزل معا . لم أكن أريد أن أزعج العمال .. »

– « لا ، فذلك أفضل » قال موافقا ، وأضاف موضحاً :

www.elromancia.com

– « لقد انهيت عملي قبل ما هو متوقع .. أشعر بارتياح رائع عندما أعود إلى هذا المكان »

توقف وتنفس بعمق . رغم عمره وعمله فهو يبدو رشيقا . ولاحظت ناتاشا حركة صدره اللاإرادية عندما تنفس وقد بدت عضلاته القوية خالية من أي إفراط في الوزن (رهل) . وقد تأكدت أفكارها عندما خلع سترته وألقى بها فوق كتفه .

قالت ناتاشا :

– « نعم ، أعترف بأنني أحسدك على عملك في لندن »

ابتسم لها ابتسامة صبيانية مُحببة قائلا :

– « ليس لندن فقط .. لقد أتيت من نيويورك اليوم ، هنا مكاني المفضل ، لذلك قررت الاحتفاظ بجناح في المنزل لاستعمال الخاص .. عمتك هذه أين أجدها ؟ »

أجفلها سؤاله ، ثم قطب وقال مفكرا :

– « من عائلة لاسي بالطبع.. المنسوجات الكنيسية . كان على أن ألاحظ ذلك ، إذن أنتِ من نشأت مع هذا العمل » .

– « نعم ورغم ذلك لم أنقطع عنه ولو لفترة بسيطة » .

كم من السهل التحدث مع هذا الرجل – فكرت ناتاشا –

فلديه اهتمام حقيقي بالآخرين وهو شيء موجود لدى عمتها أيضا وتُعجب به ناتاشا .

شعرت بالذنب لدى تفكيرها بهيلين .. تُرى كيف ستتصرف لو دعاها ليو روسنبرغ ، هل على ناتاشا أن تحذرها .. ؟ لكن لم تكن لديها أي فكرة إذا قال ليو هذا كحديث عابر ، أم أنه يفكر جديا بطلب مساعدة عمتها في تجديد الحديقة .. ؟

وسمعته يقول لها :

– «أسف إذا أزعجتك ، لكن لدي غدا لقاء غير متوقع في امستردام ، فهل بإمكاننا أن نقوم بجولة حول هذا المنزل معا الآن، ومن ثم ندرس مخططات المهندس .. ؟ »

– « أود ذلك » . أكدت ناتاشا .

« لقد قرأت في الفترة الأخيرة الكثير عن التصميم وأحضرت معي بعض النماذج إضافة إلى بعض الرسوم التخطيطية .. أنت تريد أن تكون غرفة النوم عملية مع صدى الشعور بالفترة الزمنية التي تمثلها ، بيتما غرف الاستقبال ستخدم بالطبع .. »

www.elromancia.com

– « تستخدم ، نعم .. نتوقع أن يكون لنمط النزلاء اهتمام حقيقي واحترام للطراز القدين .

من الطبيعي أنني لن أقترح إعادة خلق كارولين كما كان بكل تفاصيله فإن ذلك غير ممكن . لكن في بعض المناطق منه ، نجعل النزلاء يعتقدون أنهم عادوا إلى الماضي وأنهم في مكان يعكس شعورا حقيقيا للفترة التي بُني فيها لأول مرة .. لن اقترح استخدام الأقمشة التقليدية القديمة الطراز حتى لو وجدت فهي تخص المتاحف ، لن أود استخدام الأقمشة الحديثة المنقولة عن التصميمات التقليدية والمصنوعة بطريقة تجارية »

ازداد إعجاب ناتاشا بليو ، بعد عدة ساعات أطلعها على طول وعرض المنزل . وتركته يقود المحادثة واكتشفت أن المنزل يعني له أكثر من مجرد مغامرة عمل ... أخبرها وهما يعودان إلى الغرفة الصغيرة المتراكمة الأشياء التي يستخدمها كمكتب مؤقت :

– « أقصى ما أود هو الاحتفاظ بالمكان كمنزل خاص ، لكن ذلك يحتاج لريع ضخم ، لذلك اتصلت بطاقم استشاريين أطلب المشورة بإبقاء المكان كما هو ، فأخبروني بفكرة تحويله إلى فندق،

يرغب فيه من يحب أن يشعر بأنه يقيم في منزل خاص بدلا من الإقامة في فندق . اليابانيون والأمريكان يحبون هذا النوع .. ما أريده الآن هو إيجاد مضيفة ومدبرة منزل في آن واحد من الدرجة الأولى » .

توقف وهو يبتسم قليلا ، ثم تابع قائلا :

– « أسف لأنني ما أن أبدأ الحديث حتى استرسل فيه ، وأنت تجيدين الإصغاء ».

– « هل زوجتك .. ؟ » بدأت ناتاشا ، لكنه هز رأسه مقاطعاً :

– « إنني أرمل لقد ماتت زوجتي منذ خمس سنوات بعد مرض طويل . بدأت تعاني المرض بعد ولادة ابننا .. »

صدر عن ناتاشا صوت بالتعاطف . ثم أحست أنه لايود متابعة الموضوع فقالت بسرعة :

– «لدي مواضيع مهمة في الطابق العلوي ، ربما تود الإطلاع عليها . لقد حصلتُ عليها بطريق الصدفة ، لكنه غنية جدا بالمعلومات . إنها عن الاهتمامات بإعادة التصميمات التجارية وصنع القماش خصوصا الاهتمام بالدامسكو والبروكار . وكما تعلم – فإن مصنع والدي أصبح ينتج العديد من التصميمات

التجارية إضافة إلى الأقمشة الكنيسية .. يوجد ، بشكل رئيسي في إيطاليا وحول فلورنسا بالتحديد ، ومصانع لا يزال لديها كتب النماذج الأصلية التي كانت تستعمل منذ قرون ، وبإمكان هذه المصانع إنتاج الأقمشة كما كانت عليه سابقا .. إنها مكلفة بالطبع ، اقترح استعمالها في بعض الأمكنة المحددة المختارة بعناية » .

اكتشفت ناتاشا عند نهاية الأمسية أن ليو ، رجل لا يؤمن بإضاعة الوقت ، ما أن يقرر القيام بعمل ما . وقد وافق تماما على أن تتسلم كل ما يخص التصميمات والأثاث ليس بغرف النوم فقط بل لغرف الاستقبال أيضا ، وخصص لذلك ميزانية جعلتها تفغر فمها ...

أحست بشدة حبه للمنزل ورغبته بإكسائه بأفضل الأقمشة . وكان لديه أفكار محددة عما يريد بشأن الجناح الذي يحتفظ به لاستعماله الشخصي ، لكن بدا واضحا لناتاشا أنه سعيد لأخذه بآرائها وأخبرها قائلا :

– « لدي مجموعة من اللوحات والرسومات وأنوي تعليقها في الصالة الكبيرة بجناحي الخاص . سيقدم لي أحد الأصدقاء

النصيحة بخصوص ذلك .. لقد كنت أطوف المزادات العلنية للحصول على قطع الأثاث المناسبة لجناحي ، حيث يجب أن تتناسب وتحافظ على أسلوب طراز البناء في تلك الفترة الزمنية .

لم تذهب ناتاشا للنوم إلا بعد الواحدة صباحا ، حيث سيغادر ليو إلى امستردام منذ الصباح ، وستبقى هي تقوم بالترتيبات لحين عودته وإتمام مشروع اختيار الألوان الأولية لغرف نوم النزلاء .

وبعد أن تبادلا تحية المساء ، شعرت أن ليو روسبنرغ رجل وحيد رغم مظهره الذي يبدو كأنه يملك كل شيء في الحياة ، وكل ما يحتاجه إنسان .

شعرت بقلبها باردا وثقيلا وهي تفكر في مستقبلها .. مستقبل دون حب .. دون عاطفة .. دون لوك ، الذي يقدم لها الحب والعاطفة .

إذن لماذا تضيع الكثير من الوقت والأفكار وتعب القلب في التفكير فيه ..؟ .. جلست في السرير وهي ترتعد .. لماذا تتصرف بطريقة بعيدة تماما عن شخصيتها؟

من المفروض أن تسهل مهمتها الجديدة التي تملأ أفكارها

www.elromancia.com

ووقتها بإبعاد لوك ، لكن عوضا عن هذا ، ها هي الآن تجلس مستيقظة في فراش غريب وتعرف لو أنها أغمضت عينيها وسمحت لنفسها بالاسترخاء ، فإنها ستنهض - كما يحصل مؤخرا منذ عدة ليالٍ - متذكرة كل لمسة ، وكل كلمة ، وكل نبضة قلب في الوقت الذي قضته معه .

تنهدت من الألم في حنجرتها وأخذت تضرب الوسادة وتقول إنها أسوأ عدوة لنفسها .. يجب عليها أن تنساه ، أن تخرجه من ذاكرتها ، وأن تركز على الحقيقة والواقع وليس على الخيال والوهم ..

الفصل السابع

مضت ثلاثة أيام لم تر فيها ناتاشا ليو روسنبرغ . وخلال هذه الأيام عملت بجد في تحضير رسومات لكل غرفة نوم وكل غرفة استقبال ، وفي إغلاق أبواب ذهنها بوجه أي أفكار مترسبة عن لوك تمبلكومب .. وقد كان تحضير الرسومات أسهل كثيرا ، لقد كانت تذهب للفراش وهي منهكة ذهنيا وجسديا وتأمل أن تنام ما أن يلامس رأسها الوسادة ، لكنها كانت مخطئة فجسدها المتألم يرفض أن تعيش في الأمان الذي تحتاجه .

في الليلة الثالثة قبل عودة ليو ، استقلت في الفراش متعبة من الصراع المتفاقم مع الوقت وسمحت لأفكارها أن تأخذها إلى أوهام مستحيلة .

إن لكل إنسان أجهزة دماغية خاصة ، وبالنسبة لطفولة لوك ، فإن ترك والدته له ولوالده وذهابها إلى رجل آخر ومن ثم انتحار

www.elromancia.com

والده المأساوي ، لاشك بأنها أسباب استيائه وعدم ثقته في النساء. وهذا ما يظهر جليا في قساوته .

إنها ليست عالما نفسيا ولا تريد أن تكون كذلك ، لكنها تبحث عن المبررات والتفسيرات لتصرفات لوك . تحركت دون ارتياح في الفراش المريح ووبخت نفيها على اعتقادها السخيف بأن لوك من الممكن أن يتغير . لماذا يتغير ؟ من الواضح أنه لا يريد ذلك ، ومن الواضح أنه أيضا سعيد تماما بأسلوب حياته . ربما كانت لا تملك الخبرة الكافية لكنها ترى بسهولة أن لوك لا يريد إلا علاقة دون عاطفة .

علاقة ... ! ابتسمت بألم في الظلام . تعرف أن لوك لا يريد أكثر من أن يأخذها إلى الفراش ثم ينساها .. لماذا يؤلمها ذلك كثيرا ؟ ارتعشت قليلا . إن تربيتها وأخلاقها جعلاها تبحث عن العواطف والمشاعر من المستحيل أن تقبل رجلاً يجسد كل شيء لا تحبه في جنس الرجال لقد أخافها ذلك ووجدت نفسها في هذه الحالة من الاضطراب العاطفي والجسماني ، وهذا ما دعاها أن تترك منزلها .. ها هي مستلقية تفكر فيه وتأمل ...

تأمل ماذا ؟ مثل بعض أبطال القصص الرومانسية ، بأن يخضعها بقوة تصميمه ورغبته وبذلك يزيح عنها عبء القرار وتوافق على علاقة لا تحمل شيئا من الفضائل التي تؤمن بأن يحملها الرجل للمرأة .

تقززت من أفكارها .. وأحست بغثيان في معدتها .. ما الذي حدث لها ؟ لقد أتت هنا وهي تعتقد بكل بساطة أن إبعاد نفسها عن لوك يكفي لشفائها من هذه الرغبة السخيفة التي تعاني منها ..

ولو فكرت بشكل حقيقي بمهمتها الجديدة ، فلن يكون في عقلها مكان لأي أفكار عن لوك .

كم كانت مخطئة لقد سببت لنفسها التعب الذهني والجسماني . فداخل جسدها ألم حاد وقاس جدا .

لكن لماذا ؟ لماذا الآن ؟ لماذا هذا الرجل ، لماذا هذه الحدة دون نعمة الحب ؟

استيقظت متعبة وحول عينيها دوائر سوداء .. عليها اليوم أن تطلع ليو على اقتراحاتها وتوصياتها وتأخذ موافقته .

نهضت بملل ، ولكي تنبه أعصابها وقفت ترتعش تحت ماء الدش البارد . وأجبرت نفسها على تحمّل برودته لأنها ستشعر بفائدة فيما بعد .

لم تكن لتهتم كثيرا بجسمها ، فهي محظوظة لأنها لا تحتاج لأي نظام غذائي لتخفيف الوزن ، وتعتبر نحيلة قليلا بالمقارنة مع النساء الأخريات .

وقف ساكنة تحت الدش تشد الليفة بإحكام على صدرها والماء البارد يرشق بشرتها مختلطا مع الحرارة داخل جسدها ، وهذه الحرارة جعلت وجهها متوردا من الصدمة والألم .

أحست بغشاوة مفاجئة على وجهها واكتشفت أنها تبكي .. تبكي من الآلام المبرحة والأفكار المخجلة التي راودتها .

وتساءلت بضعف وهي ترتدي ثيابها ، من منهما كان أكثر خداعا لوك أم هي ..؟

وبخجل عرف الجواب تماما .

كان من المتوقع أن يصل ليو بعد الإفطار مباشرة ، لكنه وصل متأخرا قرب وقت الغداء يقود سيارته الجاكوار الكلاسيكية . ولم يكن لوحده .

وللمفاجأة ، رأت ناتاشا عمتها تجلس قربه في السيارة ووجها الضاحك مستدير ناحيته ، وشعرها يطير مشعثا مع الريح . لم تستطع ناتاشا الكلام لشدة دهشتها وراقبت بصمت ليو وهو يساعد عمتها على مغادرة السيارة .

– « أحضرني ليو .. السيد روسنبرغ كي أرى حديقته » فسُرت عمتها منقطعة الأنفاس .

ما أن أصبحت على مرمى السمع . كان وجهها متوردا بلون جميل غير مألوف ، أحدثه النسيم المتخلل من سقف السيارة المكشوف . وعيناها متألقتان ، استدارت تنتظر ليو كي يقفل السيارة وينضم إليهما . وهذا ما جعل ناتاشا تتساءل هل لقدوم عمتها سبب أكثر من حماس ليو لإحياء وتجديد المنزل وحدائقه ..

– « كما ترين ، فقد أخذتُ بتوصياتك » . قال ليو موجها كلامه لناتاشا وهو ينضم إليهما .

وتابع قائلا :

– « وقد وافقت هيلين بكل لطف أن تأتي وتقدم نصيحتها .. »

قاطعته هيلين لاسي :

– « أنا لست خبيرة ، بل مجرد هاوية متحمسة ».

– « هاوية موهوبة جدا » أضافت ناتاشا

– « موهوبة جدا » . وافق ليو وأضاف :

– « بعد أن شاهدت ما حققتِ في حدائق لاسي كورت ، أكره أن ترين كم هي مهملة الحدائق هنا .. »

وسمعت ناتاشا عمتها تقول عندما بدأ ثلاثتهم بالمسير :

– « لازلتُ أؤكد لك أنه من الأفضل أن تفوض بستانيا أو مصمما . رغم أنني أجد في ذلك نوعا من التحدي أتوق أن أقوم به » .

أجابها ليو :

– « انتظري حتى ترى حجم العمل الذي ستقومين به .. سيتوقع نزلاؤنا وجود تسهيلات كملاعب التنس»

– « والكروكيت » . قالت هيلين : « خصوصا إذا كانوا أمريكيين . ربما تكفي الأرض لحقل بولو أيضا فإنه الآن ملفت للإنتباه »

– « بولو » قال ليو مفكرا :

– « إنه شيء حديث جداً بالطبع »

استغرقت ناتاشا في التفكير وهي تصغي إليهما مستاءة قليلا لأنهما نسيا وجودها تماما . وتساءلت – وهي تراقبهما يسيران تجاه المنزل – إذا كان يعيان مثلها توافق خطاهما .. كلاهما متحمس للمنزل وإمكانياته ، وأدركت وهي تصغي إليهما ، أنه ليس من الممكن أنهما التقيا للمرة الأولى فقط .

تأكدت شكوكها عند الغداء ، عندما أشار ليو أنه اتصل بعمتها فور عودته من امستردام وخرجا للعشاء معا ، وتلاه غداء في البلدة . ثم دعا هيلين إلى لندن لترى مكتبه هناك .

أحست ناتاشا فجأة .. وهي تراقب عمتها وليو روسبنرغ معاً، بإحساس مدمر غير مألوف بالوحدة والتوق إلى .. إلى ماذا ؟ سألت نفسها بسخرية ، إلى لوك تمبلكومب ؟

قضت عمتها بعد الظهر تتفحص الحديقة وإمكاناتها ، بينما جلست ناتاشا وليو في المكتب يراجعان الملاحظات والخطط التي حضرتها ناتاشا بعناية .

– « ذلك مثالي ، وكما أريد تماما » قال ليو بإيجابية ما إن انتهيا .

– « والتكلفة » تساءلت ناتاشا بقلق فهي تعرف أن بعض الأقمشة التي اختارتها لغرف الاستقبال مرتفعة الثمن .

– « ممتازة » أكد لها ليو وأضاف قائلا : « ناتاشا إنني رجل أعمال ، لكنني لست ماديا . وأعرف أن النوعية التي نريدها ليست رخيصة . متى يمكنك بدء العمل هنا .. ؟ سينتهي العمل في الطوابق العلوية في نهاية الشهر ، وكلما كان بإمكانك الإسراع في بدء العمل بعد ذلك .. »

قيّمت ناتاشا بسرعة عبء العمل الحالي .. بين يديها الآن العديد من المهمات الصغيرة ستضعها جانبا لكي تتمكن من بدء العمل في الوقت الذي يطلبه ليو . وستحتاج أن تقوم برحلة إلى فلورنسا . فبعض الأقمشة التي ستستخدمها تلزمها زيارة شخصية للحرفيين كي تخبرهم عما تريد أن ينتجوه لها ..

شرحت كل ذلك إلى ليو وانتظرت مترددة بينما هو يفكر ثم قال :

– « أود أن يكون المكان جاهزا للافتتاح في عيد الميلاد ، كي نستغل هذه الفترة المريحة »

عيد الميلاد ! أخذت ناتاشا نفسا عميقا ، إن الانتهاء في

هذا الموعد يعتمد على قدرة ورضا المتعاقدين في فلورنسا بتزويدها ما تريد في الوقت المحدد . قالت بحذر :

– « أعتقد أن بإمكاني أن أتدبر الأمر .. فذلك يعتمد على الذين سيزودونني بالقماش . القماش المطلوب لغرف النوم سنأخذه في مصنع والدي . وأضمن تسليمه في الوقت المناسب إضافة إلى خصم جيد للأسعار العادية . صحيح أن موادنا الخام جيدة لكنها لا تقارن مع الأقمشة في فلورنسا . ولا أستطيع التحكم في موعد تسليمها »

– « أفهم ذلك » أكد لها ليو . « ولا أنوي إضافة أي بند غرامة إلى عقدنا »

شاهد دهشتها فابتسم بسخرية وتابع :

– « إنني أثق في هذه الأمور يا ناتاشا .. وأي مقاول يقول إنه لا يفعل الشيء نفسه فهو يكذب .. إنني أستطيع الوثوق بك ، ليس لأنني على وشك وقوعي في حب عمتك ، فغرت ناتاشا فمها ، وضحكت بطريقة محزنة هذه المرة ثم أضافت :

« قالت إنك ستصدمين .. أعتقد أن في عمرك ، فكرة أن يقع الرجل في الحب وهو في الخمسين من عمره ...»

– « لا ، لا ، أنت مخطىء » قالت ناتاشا بسرعة ، ثم اعترفت بأمانة :

– « كنت أفكر هذا المساء كم أنتما ثنائي جيد ، ولم أتوقع أن .... »

– « أن ماذا ؟ أعترف بذلك . قضيت السنوات بعد وفاة زوجتي أقول لنفسي إنني لا أريد الزواج مرة أخرى . واكتشفت إنني كنت مخطئا . الحياة قصيرة جدا لكي ندع الكبرياء يقف في طريق الحب والسعادة . وفي اللحظة التي قابلت فيها عمتك ، عرفت بأنها ستكون مهمة بالنسبة لي .. إن ذلك أشبه بحصولي على ضوء ينير مكانا مظلما في حياتي .. ويضيء ظلمتها ويدفىء برودتها . وأعتقد أن عمتك تشعر نفس الشعور ناحيتي » .

– « وهل هذا ما دعاكَ لإعطائي العقد ؟ لأنك وقعت في حب عمتي ؟ » سألته ناتاشا مترددة . عبس قائلا :

– لا ، لو لم أعرف بأنك أهل لهذا العمل ، فإن قرابتك بهيلين لن تجعل الأمر مختلفا »

صدقته ناتاشا وشعرت بارتياح . صحيح أنها تريد العقد لأقصى درجة ، لكنها تريد أن تناله بكفاءتها ومقدرتها وليس لأي سبب آخر .

وتابع ليو قائلا :

– ألاحظ أنك اقترحت أقمشة متنوعة للصالة الطويلة . وكما أخبرتك سابقا ، فإن صديق لي سيأتي ويقدم نصيحته بشأن الأمكنة لتعليق مجموعتي الفنية في الصالة ، وأريد منه أيضا مناقشة أخيرة عن الأقمشة اللازمة للنوافذ والمقاعد »

أومأت ناتاشا برأسها ، فالأقمشة التي انتقتها مؤقتا للصالة هي أقمشة تقليدية مزينة بالرسومات الخفيفة اللون لكي تندمج مع اللوحات الفنية التي أخبرها ليو أن أغلبها رُسمت منذ العصر الفيكتوري وتمثل النهضة القومية ، ويجب أن تحافظ على طابع وجو المنزل .

– « اللوحات الآن في المخزن ، وسأستلمها عندما ينتهي العمل في الصالة . من المفروض أن يتم ذلك في نفس الوقت الذي سينتهي العمل بغرف النوم ، عندها سنقرر نوعية الأقمشة » .

وافقته ناتاشا وهي تبتسم ، ورأته يحدق إلى النوافذ المطلة على الحديقة ، لقد كان قلقا لفكرة ارتباطه ثانية لذلك استأذنت منه بكل دبلوماسية في الذهاب إلى غرفتها وإجراء بعض المكالمات الهاتفية .

شاهدت من نافذة غرفتها المطلة على حديقة المطبخ المهجورة ، ليو وعمتها يمشيان فوق الممرات المكسوة بالأعشاب وايديهما متشابكة . ووقفا فجأة لمناقشة أمر ما مستغرقين لدرجة عميقة ، مما جعل ناتاشا تخطو آلياً للخلف بعيدا عن النافذة ، وهي تحس بمراقبتها لهما ، بغض النظر عن كونها بطريق الصدفة ، تعتبر تطفلا على عزلتهما .

من المستحيل عليها وهي بمفردها الآن ، أن توقف شيطان الألم الذي يعذبها وهي ترى التقارب ، والدفء ، والعواطف والمشاعر المتبادلة بين ليو وعمتها ، وانعدام لأي مشاعر في الفترة التي قضيتها مع لوك في حديقة منزل والديها .. كم هي جميلة علاقة ليو بعمتها في الدفء وضوء الشمس الذي يعبر الحديقة ، بينما كانت علاقتها مع لوك مخفية ومختبئة في ضوء القمر .

لم تلتق بعمتها لوحدهما إلا قبل موعد مغادرتها بقليل . بعد أن تناول ثلاثتهم العشاء ، صعد ليو للطابق الأعلى ليجمع بعض الأوراق التي تحتاجها ، ثم يعيد هيلين إلى لاسي كورت وهو في طريقه إلى لندن .

أكدت ناتاشا لعمتها بأنها ستنتهي من عملها في الوقت المحدد . وبما أنها لن تفعل شيئا إلى أن ينتهي العمال فإنها ستعود غدا لمنزلها ، ثم تأتي هنا قرب نهاية الشهر .

– « من الأفضل أن يكون معك مفتاح » قالت مدبرة المنزل « لأنك ستعودين في عطلة المصارف ولن أكون موجودة هنا ، حيث سأقضي أسبوعين مع ابنة عمي بورنماوث» وذهبت تبحث عن مفتاح بديل .

سمعت ناتاشا عمتها تقول :

– « بما إننا لوحدنا الآن ، هناك شيء يجب أن أخبرك عنه .. كان لدينا زائر أمس ، أو بالأحرى زائر لك .. شعرت بالسعادة ، وبمعدتها تتملص وهي تنتظر عمتها أن تكمل .

– « هل كان ... هل كان ... ؟ »

– « لوك تمبلكومب .. نعم إنه هو .. لسوء الحظ لم أكن موجودة عندما وصل ، وعرفت من والدتك فيما بعد ، انها أخبرته أين أنت ، وإنه لم يكن مسرورا لغيابك.. »

خفق قلبها بشدة . ثم تبعه شعور حاد بالمتعة يرافقه إحساس بالضعف ، لم تعرف ماذا تفعل ، إلا أن تحدق في عمتها ، ولون وجهها يتغير من الانفعال .

– « إنني أوافق معك على أنه شاب خطير ، فهو يتمتع برجولة فائقة .. كان يريدك يا ناتاشا . شيء ما يقول لي أنه سيأتي لرؤيتك وإنه لن ينفر من تلك القصة التي أخبرته بها بشأن كونك واحدة أخرى ، فهي تضيف بعض التوابل إلى اللعبة .. »

– « نعم » وافقت ناتاشا دون صوت ، وقد تحول شعورها بالنشاط إلى ألم خانق وشقاء وتابعت ،، « ذلك هو كل شيء بالنسبة له .. لعبة ؟ »

سألتها عمتها بلطف :

– « ماذا تعنين ؟ هل في ذلك شيء آخر بالنسبة لك ؟ »

هزت ناتاشا رأسها قائلة :

– « ليس بعد .. لكن سيصبح الأمر كذلك ، إذا سمحتُ له.. »

عضت على شفتيها وصممت بسخرية :

– « إذا سمحت لنفسي أن .. »

– « أن تعتبريه حبيباً ؟»

– « لا ، كنت سأقول : أن أصبح ملتزمة معه .. أوه ، لا أمل .. لا فائدة . لم أفهم لغاية الآن لماذا أفكر فيه هكذا .. إن فيه كل

ما أكرهه بالرجل ، فهو بارد ، ساخر ، لا يفكر في أي امرأة إلا لتلبية رغباته » .

قالت عمتها بجفاف :

– « إنك منجذبة إليه . وإذا كان في قولي أي عزاء لك ، فإنني أقول ، إنه مستاء لأنه لم يرك ولذلك سأل أين أنت. إنه رجل ذكي يا ناتاشا ، ويعرف تماماً لماذا تهربين منه . ويعرف جيدا أنك لو كنت على علاقة بشخص ما ، فلا حاجة للهرب »

أجابت ناتاشا بيأس :

– « يظنني إمرأة ذات تجربة وقائمة طويلة من الرجال .. كيف أستطيع أن أخبره ؟ كيف أستطيع أن أفسر ... »

– « بأنك كذبت عليه كي تنقذي إيما ، لا شك بأنه ... »

– « انه ماذا .. أنه سيفقد صوابه لو عرف بأنني لم أكن على علاقة مع أحد إلى الآن ... »

هزت رأسها وتابعت :

« هذه حقيقة وليست وهما ، فهو لا يريدني لجهلي وقلة خبرتي ، فذلك يحمله مسئوليات في غنى عنها .. بل يريد إمرأة

www.elromancia.com

تستطيع مجاراته في اللعب . إمرأة تعرف القواعد ،، إمرأة يستطيع أن ينبذها بسهولة ، ما أن يسأم منها »

– « وأنت ماذا تريدين ؟ هل تعرفين ماذا تريدين .. ؟ »

– « ليس تماما ، أعترف بأنني أنجذبت إليه رغم إنني كنت أعتبر نفسي فوق أمور كهذه .. »

– « ليس هناك شيء مستحيل ، أعلمك يا عزيزتي أنه غادر البلدة وعاد إلى لندن . لقد شاهدتُ لوسيل تمبلكومب وأخبرتني بذلك .. »

توقفت عندما شاهدت مدبرة المنزل وهي تشعر بالانتصار لأنها تحمل مجموعة مفاتيح بديلة .

قالت مدبرة المنزل :

– « عليّ أن أناقش الأمر مع ليو ، لكنني متأكدة أنه لن يمانع .. »

– « أمانع ماذا » ؟ سأل ليو وهو يدخل القاعة ..

وفي صخب التوقيع والموافقة ، استطاعت ناتاشا إبعاد لوك عن عقلها ، لكن ليس لفترة طويلة ...

إنها ستغادر عزبة ستونلوفل صباح الغد ، فما إن ذهب ليو وعمتها ، حتى صعدت مرهقة إلى الطابق الأعلى لتتأكد من قائمة مموليها بالأقمشة ، وتحدد تفاصيل الطلبيات ، لكنها وعوضا عن العمل ، وجدت نفسها تجلس محدقة في الفضاء ، تحاول أن تخمد اشتعال قلبها العنيف ، لفكرة أن لوك أتى يبحث عنها .. ووجدها .. وإنها .. ولدهشتها .. لم تقاومه ..

وعرفت أنها بصدد ليلة أخرى من عدم النوم .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

أتى صباح اليوم التالي ولم يصل لوك كما توقعت عمة ناتاشا .

حدثت ناتاشا نفسها بأنها سعيدة لأنه لم يحضر ، لكنها اعترفت بقرارة نفسها غير صادقة تماما .

صعدت خلسة إلى الطوابق العلوية كي تتفحص غرف النوم ، ولاحظت نظرات العمال تتفحصها بإعجاب . اكتشفت أنها لا تشعر بالسعادة لذلك ، ولا تشعر بأنها أنثى كما تشعر عندما يراقبها لوك .. ولم تعرف هل عليها أن تكون مرتاحة أو يائسة لهذا الاكتشاف ...

لم تغادر إلا في المساء ، واعترفت أنها عمدت إلى تأجيل مغادرتها ، فربما ظهر لوك .

حمقاء .. سخرت من نفسها وهي تقود سيارتها عائدة للمنزل ، إن خالتها كانت مخطئة باعتقادها أن لوك ينوي لقاءها

.. فلماذا سيفعل ذلك ؟ رغم خبرتها القليلة إلا أنها تعرف أنه ليس من الرجال الذين يجرون ولو قليلا من أجل صحبة امرأة ما . إذن لماذا سيتعب نفسه ويتعقبها .. ؟

عرفت عندما وصلت إلى المنزل بأن عمتها ليست موجودة فقد سافرت مع ليو إلى نيويورك .

– « لا أستطيع أن أفهمها » . اشتكت والدة ناتاشا « فمنذ أن التقت بهذا .. بهذا الرجل تغيرت تماما . في السابق لم تكن تريد الخروج لأي مكان ، أما الآن فإننا بالكاد نراها . وعندما سألتها كم ستغيب ، أجابت أنها لا تعرف كم سيستغرق عمل ليو في نيويورك ، ومن المرجح أن يسافرا من هناك إلى سويسرا » .

وتدخل والد ناتاشا قائلا :

– « كفي عن الاحتجاج يا عزيزتي ، إن هيلين واعية بما فيه الكفاية كي تدرك ما تفعل . أنا شخصيا مسرور جدا لأنها بدأت تهتم بالحياة مرة ثانية »

– « كانت مهتمة من قبل .. فلديها حدائقها » أتى تعليق والدة ناتاشا المتبرم .

www.elromancia.com

شعرت ناتاشا بالتعاطف مع والدتها ، فلاشك بأنها ستفقد أقرب صحبة لها.. فقالت كي تريحها :

- « ليو لطيف جدا ، وحيد ، ويحب هيلين »

- « حسنا ، إنها ستحقق بعض السعادة ، فقد عاشت وحدها لفترة طويلة » وتابعت وهي تنظر لزوجها :

- « إذا اختارت هي وليو العلاقة الدائمة ، فإنني سأفتقدها » .

- « وأنا أيضا » وافقتها ناتاشا كي تزيح كآبة المناقشة : « أعرف واحدة » لن يكون إحساسها كإحساسك ، إنها والدة ريتشارد ، فهي تغار من هيلين لأن حديقتنا تتفوق على حديقة منزلهم »

- أوه ، نعم .. إن هذا يذكرني بشيء يا ناتاشا ، لقد أتى ابن عم ريتشارد يسأل عنك ، وأنت في العزبة إنه شاب وسيم جداً »

- « نعم أخبرتني هيلين » قالت ناتاشا بأسلوب حيادي محاولة إبقاء صوتها هادئا أقصى ما يمكن ، لكنها أحست من نظرة والدها بأن ذلك لم ينطلي عليه تماما . ولكي تتخلص من خطر

موضوع لوك تمبلكومب ، استدارت بسرعة نحو والدها وهي تقول :

- « إذا كان لديك الوقت الكافي ، فأود أن أراجع معك الخطط التي وافق عليها ليو بخصوص غرف النوم في العزبة . إننا سنستخدم قماش الشركة ، وأريد أيضا العديد من الأقمشة المصبوغة تتلاءم مع درجات الألوان . وسيحصل ليو على خصم كامل ، لكنه يتفهم أن الطلبات الخاصة تكلف أكثر »

وتابعت شارحة لوالدها أن المنزل سيحتفظ بشكله الأصلي ما أمكن ، وإن بعض غرف النوم ستبقى كما هي والبعض الآخر سيوضع فيها خزانة ثياب وستقسم بجدران لذلك فهي تحتاج إلى أقمشة ذات ألوان خاصة .

- « وهل هذا الرجل .. أعني ليو ، هل ينوي الإقامة في المنزل أم ... ؟ »

- « أوه ، نعم لقد أبقى الجناح الصغير لاستعماله الشخصي ، إنه جناح جميل فيه خمس غرف نوم ثلاث فيها بحمامات خاصة ، إضافة إلى صالة ضخمة تطل على حديقة المنزل المغلقة والتي ينوي أن يحتفظ بها لاستعماله الخاص . ولذلك

اتصل بهيلين ، فقد كان يشكو من أنه لم يجد من يستشيره بشأن إعادة تنظيم الحدائق وزراعتها ثانية » .

– « أحتاج للقيام برحلة أخرى إلى فلورنسا في المستقبل القريب ، لإحضار الأقمشة اللازمة للصالة بحيث تتناسب مع الخشبية والأسقف الحصية ، ولا تقلل من قيمة اللوحات التي سيعلقها ليو على الجدران »

اضطرت ناتاشا أن تعمل بكد لمدة ثمانية أيام وفي العطلة الأسبوعية أيضا لكنها لن تعبأ لذلك ، فعليها اتمام مهامها قبل عودتها إلى العزبة .

وساعدها العمل الشاق على إيقاف تفكيرها بلوك .. ولم تعد تتوقع أن تسمع صوته في كل مرة يرن بها الهاتف . أو أن تراه أو تتكلم معه وقالت لنفسها من الأفضل أنه لن يتصل بها ، فالعمل – مع الوقت – سيبعده تماما عن تفكيرها وعن حياتها ، وإنه سيأتي يوما ما وتنظر إلى هذه الحادثة وهروبها من وضع كان سيدمر كل اعتبار واحترام لنفسها بحماقة واستخفاف ، لكنها مازالت تتجنب السير في الحديقة ليلا ، ولا تزال تجد صعوبة في النوم ، ولا تزال تشعر بجسمها يتوتر عندما يرن جرس الهاتف أو يقرع أحدهم جرس الباب .

عطلة المصرف تصادف اليوم بعد الظهر .. حزمت أغراضها للعودة إلى العزبة ، وهي تنوي المغادرة في وقت مبكر قليلا كي تتجنب ازدحام السير . وأشارت التنبؤات الجوية أن الطقس سيكون جيدا .

ووصلت إلى ستونلوفل في وقت كانت مدبرة المنزل على وشك المغادرة . وهي تبدو مرتبكة قليلا فهي لا تريد أن تتأخر . وما أن صعدت إلى داخل السيارة الأجرة التي تنتظرها حتى صاحت لناتاشا قائلة :

– أوه بالمناسبة ، إنك لا تزالين في نفس الغرفة ، أمل أن يكون كل شيء على خير ما يرام ، توجد كمية وافرة من الطعام في الثلاجة »

شكرتها ناتاشا ودخلت المنزل .

كان المنزل يبدو هادئا بعد صخب العمال ، ولا يزال هواء الصالة مليئا بالغبار .

إن ما ستفعله قبل كل شيء هو أن تنزل أغراضها من السيارة ، لكن دفعها حافز لم تستطع مقاومته أن تتجول في الغرف الفارغة وتتفحصها .

www.elromancia.com

لازال العمل جاريا في بعض غرف الاستقبال ، لكن وللمرة الأولى رأت ناتاشا التشابه الواضح بين رسومات المهندس المعماري المفضلة التي أطلعها عليها ليو ، وبين الغرف نفسها .

كل شيء في المنزل يجدد بعناية فالمدافىء الفخمة مكشوفة الآن وقد أضيفت إليها تحسينات كبيرة ، والأسقف الجصية ظهرت بعد إزاحة الأسقف المستعارة المنخفضة .

قضت وقتا أكثر مما كان تتوقع وهي في غرفة أخرى ترسم لها صورا بخيالها لما كانت عليه سابقا بالمقارنة مع الصور التي أخذها ليو للمنزل .

إن وجود المال يساعد على استخدام حرفيين خبراء ، لكنه لا يكفي دون حماس ليو ، وحبه للمنزل...

وسرحت بعيدا وهي تتخيل الأقمشة التي اختارتها تغطي الغرف ..

اكتشفت فجأة أن الساعة قد أصبحت الثامنة مساءً وأنها قد أضاعت ساعات عديدة وهي تتخيل عودة حياة هذه الغرف الفارغة ، عليها الآن أن تعود إلى سيارتها وتجمع أغراضها ..

تساءلت وهي تحملهم إلى الطابق العلوي ، إنها تشعر بثقة في نفسها لأنها حققت ما يريده ليو . صحيح أن أُعجبت بأعمال الحرفيين في تجديد المنزل ، لكنها جزء من نفس الفريق ومهارتها مساوية لمهارتهم بنظر ليو .

أحست بأنها جائعة جدا ، وتذكرت أنها لم ، تتناول شيئا منذ إفطارها المتأخر ، إنها جائعة نعم ، لكنها في نفس الوقت منهكة جداً في تحضير وجبة كاملة .. ولحسن الحظ فإن مدبرة المنزل ملأت الثلاجة بالأطعمة المتنوعة ، فهناك دجاجة كبيرة مطهيه ، وأنواع عديدة من السلطة والخضار والفواكه . وصنعت لنفسها شطيرة دجاج ضخمة وفنجان قهوة وجلست في طاولة المطبخ تأكل .. ما تحتاجه الآن هو أن تتمشى في الحدائق كي تنشط ..

غدا ستعمل بجد .. أما الليلة فهي بحاجة أن تنام جيدا وتحلم بالأقمشة وليس بلوك تمبلكومب ، لقد أقلقها لعدة ليال ولعدة أيام أيضا .

غسلت يديها بسرعة ، وفتحت الباب الخلفي خارجة . الهواء منعش الآن لذلك لا حاجة أن ترتدي شيئا فوق بلوزتها الرقيقة وبنطال الجينز ، أرادت أن تتنفس ملء رئتيها .

www.elromancia.com

لم تحضر معها إلا القليل من الملابس المريحة لها في العمل بنطلون جينز قديم وبعض الكنزات الفضفاضة ، وبذلات رياضية فهي معتادة على ارتدائها ، لأن غرفة نومها في الطابق العلوي من منزلها باردة شتاءً .

ستتمشى الآن في حديقة المطبخ وتتخيل كيف ستصبح بفضل مهارة عمتها .

بني المنزل في حكم تشارلز الثاني ، وكان الزي الدارج للحدائق ، أن تكون واسعة فسيحة سياجها من الشجيرات أما حديقة منزلهم فقد صممتها عمتها وجعلتها ظليلة في مكانين بواسطة سياج من النباتات الدائمة الخضرة . أما هنا في حديقة المطبخ هذه ، فسيكون أمام عمتها مجال أوسع لاستخدام مهاراتها .

كم هي محظوظة عمتها .. لقد أحبت ليو ، وأحبت منزله أيضا ، لا أحد يستحق السعادة أكثر منها .. هل هي حسودة .. وتتمنى لنفسها السعادة ؟ توقفت عن السير فجأة وأدارت رأسها غريزيا تجاه الظلال رغم أنها لوحدها ولا يوجد من يقرأ أفكارها وتعابيرها .

فمنذ أن قابلت لوك شعرت أن كل حياتها انقلبت رأسا على عقب .

أحست بعدم الراحة يتملكها ، فمشت خارج الحديقة تتبع الممر المكسو بالعشب النامي في عدة أماكن ، والذي يقود عبر الحدائق إلى سياج العزبة .

في منتصف الليل تقريبا ، عادت متأخرة عما كانت تتوقع ، رغم أنها متعبة ومنهكة جسمانيا ، إلا أنها متيقظة ذهنيا صعدت إلى الطوابق العلوية تغتسل وتهيئ نفسها للنوم . ما أن خرجت من الحمام حتى لمحت أضواء سيارة .

احتارت أكثر من أنها تيقظت .. جففت ثيابها بسرعة وارتدت ملابسها الخارجية ، لن يكون إلا ليو وقد عاد في تلك الساعة غير المتوقعة ، لكنه لم يتمكن من فتح الأبواب والدخول فقد أقفلت بالمزلاج .

ركضت بسرعة تنزل السلالم متجهه نحو قاعة المدخل الرئيسي .. لم تبال بما ترتدي .. فلقد شاهدت الطريقة التي ينظر بها إلى عمتها ، وسمعته يصف شعوره الحقيقي نحوها .

www.elromancia.com

وصلت في نفس اللحظة التي وصل بها إلى الباب من الخارج وسمعته يدخل مفتاحه فقالت :

– « ليو لقد أقفلت الباب بالمزلاج ، سأفتحه لك . إنك محظوظ إنني هنا فقد رجعت منذ قليل من مشي طويل وكنت لا أزال في الحمام عندما شاهدت أضواء سيارتك » .

وقفت تبتسم مرحبة وهي تفتح المزلاج الأخير ، وأدارت قبضة الباب لتفتحه وسقط ضوء الصالة على الرجل الواقف خارجا .

– ماتت ابتسامتها ، وحل محلها توتر وعدم تصديق وأصبح لونها قرمزيا .

– « لوك .. » همست مترنحة ، وخطت للخلف بينما هو يتقدم داخلا . واتسعت عيناها من الخوف والصدمة . وقالت بصوت أجش عندما دخل القاعة وأغلق خلفه .

– « ليس عليك أن تأتي هنا ، أخبرتك أنني لا أريد رؤيتك ثانية .. أنت مخطىء ، إذا ... »

– « أخشىء بأنك أن من ارتكب الخطأ..إنني لم ، أحضر هنا لرؤيتك ناتاشا » أتى جوابه الساخر.

أسكتتها صدمة التنصّل اللامبالية وجمدت قدرتها على التفكير أو الكلام وأخيرا قالت متلعثمة:

– « إذن لماذا أنت هنا ؟ أنت »

– « طلب مني ليو القدوم كي أتفحص الصالة وأنصحه بوضع اللوحات . وهذه هي الفرصة الأولى التي أتيحت لي للقيام بذلك » .

حدقت ناتاشا بضعف والتهبت بشرتها بالكدر والارتباك لمعرفتها أنه يقول الحقيقة .

أوه لماذا افترضت أنه أتى هنا ملاحقا إياها .. لماذا لم تُبق فمها مغلقا وتدعه يبرر حضوره ؟

– « لم يقل لي أي شيء » قالت وهي تدير ظهرها له متجاهلة تفحصه الدقيق لها من زاوية عينه .

– « لا . حسنا ربما لم يظن أن ذلك ذو أهمية . هل ينام أحد في الطابق الثالث ؟ »

أومأت برأسها وظهرها لا يزال له وقالت مرتبكة :

– « لا أحد غيري في المنزل »

www.elromancia.com

– « نعم . لقد أشار ليو أن المنزل سيكون خاليا ، إلا من المُسمم الذي يعمل معه . إنها لحماقة مني فلم أربط بين كلامه وبينك »

أحست ناتاشا بوجهها يلتهب ثانية وقالت وهي ترتعش :

– « الوقت متأخر ، لقد كنت في طريقي إلى الفراش »

– « أرى هذا » همس عندما التفتت إليه واستراحت نظراته عل صدرها بملابسها غير المشدودة .. وتذكرت ما حدث في الحديقة .. أخذت نفسا حاداً .. لماذا ترتكب تلك الحماقات فآخر ما تريده هو أن يعرف لوك رد فعلها هذا .

– « ظننتك ليو » قالت وهي تسحب كلامها ولاحظته يضغط عظم وجهه . ماتت مسحة السخرية من عينيها وحلت محلها حدة قاسية جعلت أنفاسها تتقطع ومعدتها تتقلص من الألم .

وأجابها بنعومة قائلا :

– « حقا ! . آسف لأنني خيبت ظنك » .

– « وكذلك أنا » . أجابته بتهور كي تثأر لنفسها .

لوك هنا .. لا يمكنها تصديق ذلك .. ارتعشت قليلا .. لوك هنا .. لوك ينام معها في نفس المنزل .. كم ينوي أن يبقى هنا ؟

إن أكثر ما أقلقها هو أن لوك سيشاركها في نفس المنزل فذلك يعني ليلة أخرى من عدم الراحة . وقد خططت بأنها ستنام جيدا لتستيقظ وتجد أشعة الشمس قد دخلت غرفتها .

كان المنزل يبدو هادئا وخاليا عندما استيقظت صباحا . إذ كان لوك قد غادر المنزل فلاشك بأنها ستشعر بالارتياح بدلا من خيبة الظن . هبطت إلى الطابق الأسفل ووجدت ملاحظة على طاولة المطبخ من الطباخة النظيفة : « إنني أعمل في الصالة . ربما أردتِ أن تُريني نماذج الأقمشة التي اخترتيها للنوافذ » .

من الطبيعي أنه يريد التأكد من الأقمشة التي اختارتها بحيث لا تغير جو الصالة وتبعد العين عن مشاهدة اللوحات . امتعضت قليلا فربما أراد الاعتراض على مقترحاتها .

وتساءلت في أي وقت بدأ بالعمل .. لابد أنه من قبل بدأ مبكراً ، فهي نفسها لا تجد غرابة في العمل لساعات طويلة والبدء في وقت مبكر .. وتساءلت أيضا هل فكر بأنها معتادة على البقاء في الفراش حتى ساعة متأخرة من الصباح .

لم تكن لديها رغبة للطعام ، واكتفت بتناول بعض القهوة والقليل من الجريب فروت . ورغم معرفتها بأن العمل يمكن أن

www.elromancia.com

يأخذ الكثير من وقتها وتفوتها وجبة الغداء لكنها لم تبال بذلك ؛ إنها هكذا دائما تكره أن يقطع أي شيء عملها ويأخذها بعيدا .

صبت فنجان قهوة وحملت الصينية وأخذت طريقها إلى الصالة ، توقفت أولا في مكتب ليو وجمعت بعض النماذج التي تركتها منذ الليلة الماضية .

عندما فتحت باب الصالة ، رأت لوك واقفا مقطبا ويداه على وركيه ، تحيط به صناديق نصف مفتوحة . التفت إليها وهي تدخل. تجاهلت ناتاشا الإحساس بالتوتر الذي يلف جسمها وقالت بأقصى ما يمكنها في هدوء :

– « فكرت بأنك تحب أن تتناول فنجانا من القهوة . أحضرتُ نماذج معي ، فما أن تصبح جاهزا لرؤيتهم .. »

كانت بعض اللوحات قد خرجت من الصناديق فنظرت إليها ناتاشا بقلق وهي تضع الصينية على الأرض .

قال لوك بجفاف وهو يراقبها :

– « إذا كنت تتساطين عن هذه اللوحات ، فإن لوك قد قام باستثمار جيد »

صعقت ناتاشا من السخرية في ثوته ومن تعليقه فقالت بدهشة :

– « لماذا عليّ أن أهتم بقيمتهم المادية ؟ ببساطة ، لقد كنت قلقة عليهم فقط . ومن وجهة نظر محترفة .. »

توقفت ناتاشا عندما رأت طريقة التواء فمه .

– « محترفة .. هل تعتبرين نفسك هكذا » . وبخها لوك بسخرية وتابع قائلا :

– « لقد جعلكِ محبك الأخير تزينين منزله ، ومن هذا تعتبرين نفسك محترفة .

صعقت ناتاشا بشدة لدرجة أنها وقفت تفغر فمها ، ثم انتبهت لنفسها كم تبدو بلهاء وقالت:

« لمعلوماتك ، فإن ليو ليس حبيبي وحتى لو كان غير كذلك .. فإنني لا أستغل ذلك في الحصول على عمل منه .. أما عن كوني محترفه ... »

رفعت ناتاشا رأسها وحدقت به بكبرياء وغضب .

– « حسنا ، ربما كنتُ لا أملك أي مؤهلات ، لكنني بالتأكيد

www.elromancia.com

لا أجر إلى قبول أجر كبير .. إنني لست مصممة ولم أتظاهر بذلك أبدا .. لكنني أعرف الكثير عن الأقمشة خصوصاً التي يريدها ليو لمنزله .. ولذلك اتصل بي . من ناحية ثانية إذا كنت تعتقد بأنه من الأفضل له الاستفادة واستخدام بعض التصميمات الحديثة ، إذن لاشك أنك قلت له ذلك .. أما الآن فإن ما أريده هو آرؤك بالنسبة للأقمشة التي اخترتها للصالة ، وليس آراؤك الشخصية المتحاملة على مؤهلاتي »

قالت ذلك وقد اعتراها غضب شديد ، ولم تدع له أي فرصة أن يتدخل .

ما الذي يعرفه عن مهارتها أو عدمها ؟

قال بجفاف :

– « نشُر مقال في المجلة عن منزل جيك بندراغون . إن الذي كتبه حذرٌ جداً ، لم يقل أكثر من أن المنزل قد تم وضع ديكور له من قبل صديق مقرب للسيد بندراغون . لكن ليس من الصعب أن نجمع اثنين واثنين معا .. »

– « ليكون الناتج خمسة » . قالت ناتاشا وهي تضغط على أسنانها :

– « لم أقم بعمل ديكور لمنزل جيك ، كما أنه ليس لي أي شأن مع ليو ، في الحقيقة .. »

– « إثبتي ذلك » قاطعها بهدوء شديد لدرجة ظنت أنها لم تسمعه ثم كرر ثانية :

– « إثبتي ذلك بتناول العشاء معي هذه الليلة » .

ما الذي يثبته طلبه هذا ؟ .. إنها لا تشعر بالحاجة لإثبات أي شيء على الإطلاق .. نظرت على وجهه ورأت تعابير السخرية .. سترفض الدعوة .. إنها تريده أن يعرف بأن مهاراتها في حقل عملها جديرة بالإطراء ومميزة . وتريد أن تتلاشى السخرية من عينيه ويحل محلها .. ماذا ؟ الاحترام !

لقد تحداها بقوله إثبتي ذلك .. سمعت نفسها تقول بتهور :

– « حسنا ، سأقبل فقط إذا توقفت عن معاملتي بأنني سأكسو هذا المكان بالأقمشة غير الملائمة وعوضا عن ذلك أنظر إلى هذه النماذج بعين غير متميّزة .. الاحظ أنك تحب .. إنك تريد أن .. »

كانت على وشك أن تقول : « أنت تظن أسوأ ما يمكن بي » لكنه سبقها قائلا :

– « إنني أريدك .. نعم .. لا تتظاهري أنك لا تفهمين ما أعني .. بأنك لم تنجذبي إليّ كما أنجذبت أنا إليك .. أنت لا تجرؤين على الاقتراب مني .. أفضل حل لهذه المسألة هي أن نعرف بعضنا أكثر .. لكن مثلك .. لا تكون صادقة بشكل كاف كي تواجه الحقيقة .. إنك تريدنني مثلما أريدك ، لكن .. »

حدقت به ناتاشا بانشداد وذهول . شحب لونها واعترتها موجة شعور بالخزي ، وقالت باهتياج شديد :

– « أنا لا أريدك . والسبب أنني لا أود الاقتراب منك ، هو إنني أحب البقاء بعيدا عن أي شخص »

فأجابها لوك :

– « تكذبين .. دعيني أقول لك : إذا كنت تتظاهرين أنك خجولة وتعتقدين أنني سألاحقك ، فبإمكانك التفكير ثانية .. إنني لا ألعب هذا النوع من الألعاب » .

– « لا ، لا أعتقد أنك كذلك » . وافقته ناتاشا وشعرت بالبرد فجأة . وتابعت : « أنت تحب أن تلعب ألعابا خاصة بك ، ووفقا لأنظمتك وقوانينك ، أليس كذلك لوك ؟ لكن توجد إمرأة لن تنظم إلى اللعبة .

أي خيال أحمق دعاها بأن تصدق بأنه في مكان ما تحت هذه القسوة وهذه السخرية وتحت الصدفة الخارجية يوجد إنسان حقيقي بعواطف حقيقية ، قالت وهي ترتعد :

– « لا أستطيع أن أغير طريقة تفكيرك فيّ يا لوك ، ولا أريد ذلك ، لكنني سأقول لك هذا لا يهم ما تعتقده عني فأنت لا تعرفيني .. نعم إنني أنجذب إليك لكنني لا أريد ذلك دون عواطف ومودة متبادلة »

– « هل تحاولين القول ، بأنني إذا كذبت عليك وقلت إنني أحبك ، وإذا اخترت كلمات منمقة دون معنى فهل توافقين على أن .. »

– « لا » قالت بشدة وصدق . « أعرف أنك لا تحبني ، وأعترف لك رغم ذلك لم أتوقف عن التفكير بك . ربما كنتُ ساذجة وحمقاء وأخدع نفسي ، لكنني أؤمن بأنه ولو لم يكن هناك حب بين الناس كالذي يصفه الشعراء والكتاب ، إلا أن هناك حنانا ، وأهتماما واحتراما متبادلا وعطاء حقيقيا بين الطرفين إضافة إلى القدرة على رؤية نقاط ضعفهما وشعورهما بالتفاهم ، وأنت لا تملك

www.elromancia.com

ذلك يا لوك . كقد كرهت والدتك وأنت طفل غير قادر على فهم ما الذي حرضها على ذلك . أنت تعاقبها ومستمر في معاقبتها » .

مشت ورمت نماذج الأقمشة إليه غير ابهة إذا كان سيلتقطها أم لا .

– « هذه الأقمشة من أنسب ما يكون لهذا المكان . لقد اخترتها بتأنٍ ، فإن لم تنال استحسانك ، أقترح أن تناقش الأمر مع ليو . والآن فإن أمامي عملا يجب أن أقوم به » .

مشت للباب وهي تصلي ألا تنهار . فقد كانت ترتجف ، الصدمة هي التي جعلتها تعنفه بهذه القسوة . ورغم ذلك فإن قلبها الرقيق تألم عندما رأت بشكل خاطف نظرة الألم في عينيه لاتهامها بأنه لا يزال يكره والدته لأنها تركته .. وبسبب ذلك فهو يعامل جميع النساء بازدراء .

إنه شخص ذكي .. يعرف أنه يعاني من إنقسام ، وليس بحاجة أن تشير له إلى ذلك .

الفصل التاسع

حاولت ناتاشا طول اليوم أن تبتعد عن طريق لوك .

لقد كانت غاضبه منه ومن نفسها أيضا .. ويجري تحت هذا الغضب مسحة من الإشفاق عليه والذي تعرف جيدا بأنه لا يريده .

اكتشفت أنه رغم عذابها وألمها ، فإنها تحب هذا الرجل ..

ودفعها شيء ما للتفكير في جمع حاجياتها ومغادرة المكان قبل أي مواجهة بينهما ، لكنها تراجعت . فأمامها عمل يجب أن تقوم به . إضافة إلى تصرفها سيؤكد للوك قوله عندما سخر منها بأنها ينقصها الاحتراف .. ولذلك بقيت تعمل ببطء مُنهِك محاولة إبعاد تفكيرها بأن لوك معها في المنزل .

إنها تحبه ، لقد عرفت ذلك بشكل نهائي في اللحظة التي وجهت إليه اتهاماتها ثم نظرت إلى عينيه ورأت الصدمة تزيد من قتامتهما كطفل تأذى بخشونة ووحشية بسبب إهمال الكبار .. لقد أرادت في تلك اللحظة أن تذهب إليه وتمسكه . كي تحمي وتدلل ليس الرجل فقط ، بل الطفل الذي بداخله أيضا .

شعرت بعمودها الفقري يتجمد .. هناك طريقة واحدة للتعامل مع غباء مطلق هكذا .. وهو أن تبعد لوك عن أفكارها واهتمامها . وتصمم على أن ما تشعر به سيموت ببطء .. ارتعدت مرة ثانية .. هل لديها القوة على تحمل هذا الألم؟ وهل هناك بديل غير ذلك .. ؟ ليس صحيحا .

عند الساعة السادسة توقفت عن العمل . وقررت بأنها إذا لم تأكل الآن فإنها لن تأكل أبدا .

فتحت باب المطبخ بحذر . وشعرت بالارتياح لأنه كان خاليا . وتركت الباب مفتوحا كي يذهب لوك بعيدا عندما يراها إذا ما قرر القدوم ...

حاولت أن تتناسى دعوته لها إلى العشاء .. إلى ماذا ستقود هذه الدعوة ؟ من المحتمل أن يطالبها بشيء ما .. ودون أي حماس جهزت لنفسها بعض السلطة وقطعة من اللحم وجلست تأكل في المطبخ .

وفي منتصف طعامها دخل لوك .. تصلّبت وشعرت بحنجرتها تنغلق من موجة العاطفة التي اجتاحتها .

راقبت قوة وجهه وهو يقترب منها وشمت رائحة غبار .. لقد كان بنطاله الجينز مغطى بطبقة من الغبار .. ورأته يشد فمه عندما نظر إلى صحنها ، وتغيرت تعابير وجهه . وركزت ناتاشا نظرها على شفته السفلية المقوسة لعدة ثوان وشعرت بالدوار فجأة .

– « سأقبل ذلك .. إنك لا تريدين تناول العشاء معي هذه الليلة ، رغم كل شيء »

أعادتها السخرية في صوته إلى الواقع ، وأبعدت نظرها عن فمه وأجابت بسخرية كي تثأر لنفسها :

– « شيء ما يقول لي ، بأن ما تفعله أو تقوله له ثمن . لوك ، لن أتعشى معك مهما كان الثمن الذي ستطلبه مني ممتازا »

اختفت السخرية في وجهه وحل محلها عدم التصديق ثم الغضب .

– « إذا كنت جادة في تفكيرك أنني أتوقع منك الذهاب للفراش معي لأنني دفعت ثمن وجبة .. »

لاحظت شدة غضبه منها ، لكنها لم تبال بذلك ، وليعرف كيف يُحس الإنسان عندما يشعر بالإهانة ويعامل بازدراء .

www.elromancia.com

– « أود أن تعلمي بأنني لست من الرجال الذين يتوقعون من المرأة أن تدفع ثمن الوجبة ، بواسطة قبلاتها »

– «وأنا أيضا لست من النساء اللواتي لا يكّن على علاقة مع الرجل إلا لسبب شعورهن بالرغبة».

ثارت (انتقمت) ناتاشا لنفسها ودفعت صحنها الذي لم تأكل إلا نصفه بعيدا ووقفت قائلة :

– « لقد كان يوما طويلا . إنني متعبة لوك »

وبعد أن مرت قال بشكل مقتضب :

– « انتظري » فتوقفت لا إراديا . وتابع :

– « لقد تركتِ هذه في الصالة » . وسلمها نماذج الأقمشة :

أخذتهم منه آليا ، أجفلت عندما لامست أصابعها بشرته وشعرت بالدوار . يصعب عليها أن تتخيل شعورها لو كانولديها الحرية في ملامسته بألفة أكثر ..

استدارت نحو الباب ، وسمعته يقول بصوت أجش :

– « بالمناسبة ، إنني مدين لك باعتذار ، لا يستطيع أي شخص ، دون أن يكون ذا معرفة ممتازة ، اختيار الأقمشة

الخاصة .. توجد قطعة قماش لها ظلال مشابهة لخشبية الصالة .

وللحظة كانت ناتاشا مذهولة جدا فلم تستطع الكلام ! .. إنه يعتذر .. يعتذر بالفعل ! والأكثر من ذلك ، فهو يعترف بأنها تملك المعرفة والمهارة .

لكن عليها ألا تدع كلماته تؤثر فيها ، وعليها أن تكبت الشعور بالنشاط الذي يغلي بداخلها ، فمن السخافة أن تشعر بالسعادة والعرفان بالجميل لكلمات الإطراء التي قالها . ولم تستطع إلا أن تقول برصانة :

– « نعم ، أعرف قطعة القماش التي تقصدها . لكن الاختيار النهائي يعتمد بالطبع على آراء ليو .. وأود التأكيد على ثلاث أو أربع قطع لكني أحتاج أولا لرؤية اللوحات وإطاراتها » .

– « لقد أخرجتُ جميع اللوحات ، ولدي مخطط في كيفية ومكان تعليقها . لكن كيف لن يكون بإمكانك أخذ أي قرار نهائي إلا أن يتم تعليق اللوحات . واحتاج ليومين على الأقل كي أنجز هذه المرحلة »

– « حسن .. فعندي عمل كثير يجب إنجازه في نفس الفترة »

هل يلمحّ بأن عليها أن تغادر ؟ أم هي أصبحت مفرطة الحساسية ؟ لا شك بأنها كذلك . وعندما استدارت مبتعدة عنه قال بشكل مفاجيء :

- ناتاشا ، إنني مدين لك باعتذار آخر ، لم يكن من المفروض عليّ أن أفهم بأنك حصلت على هذا العقد من ليو » .

- « لا ، ليس من المفروض عليك .. » وافقته مرتعشة .

- « ألست مستعدة لقبول اعتذاري » سأل وهو يراقبها . « حسنا ، لا أستطيع أن ألومك لذلك . إن الرغبة تقود الرجل لكثير من الحماقات .. أحبُ أن نقوم ببداية جديدة وننسى كل ما حدث .. هل ستقومين بذلك ناتاشا ؟ هل تتناولين العشاء معي الليلة . وكأننا شخصان التقيا للتو ويريد أحدهما اكتشاف الآخر.. ؟ لن يكون هناك أي توتر .. وأعدك بذلك .. فلم أصل بعد لمرحلة القيام بحيلة كي تذهب المرأة معي إلى الفراش »

إنها تصدقه تماما . لكن العقل والمنطق يحثانها على الرفض وعلى أن تتذكر أنه رغم اعتذاره ، لم يتغير شيء ، فلا يزال نفس الرجل الذي كان في الصباح .. نفس الرجل الذي سبب لها الألم

بأفكاره عنها وعن بقية أبناء جنسها .. ومع ذلك فقد سمعت نفسها تقول باضطراب :

- « كما قلت لوك ، سنكون كزميلين يتعشيان معاً »

ما الذي فعلته ؟ سألت نفسها عندما دخلت غرفتها . ما الذي دعاها أن توافق وتعرض نفسها لألم إضافي ، وخطر إضافي ؟ لا تملك أي أجوبة ، بل تملك فقط الرغبة بأن تكون معه .. أن تشاركه شيء ما حتى ولو كان حماسها للعمل .

وإذا لم يكن عند كلمتها ، فإنها ستقول له الحقيقة بأنها ليست إمرأة ذا خبرة ومعرفة في العلاقة مع الجنس الآخر .. فعندما يعرف ذلك ، سيتوقف عن ملاحقتها .... واعترفت بحزن أن هذه الحقيقة تزعجها .

♥ ♥ ♥

لقد أحضرت ناتاشا ملابسها كيفما اتفق ، لكن لا حاجة أن ترتدي ملابس ذات تأثير ...

واختارت في النهاية بلوزة قطنية ، وقميصا ضيقا دون أكمام.. بدا مظهرها عاديا .. وتغطي ثيابها الكثير من جسمها لكي توضح لوك بأنها لا تحاول أن تجذبه خفية ..

وعندما نزلت إلى الطابق السفلي كان بانتظارها وقد اغتسل وغير ثيابه مثلها . نظرا لبعض بحذر .

فتح لها الباب الأمامي للمنزل وانتظر إلى أن أقفلته خلفها .

– « قد حجزت طاولة في مطعم صغير على النهر يبعد بضعة أميال فقط . إنه متخصص في أطباق أسماك المياه العذبة . أوه .. كان عليّ أن أتأكد أنك تحبين السمك .

– « نعم أحبه » أكدت له ناتاشا .

فتح لها باب السيارة ، وكان حذرا ألا يلمسها ، فحست أنه يتعمد إبعاد نفسه عنها ... لقد قال لها : لنبدأ ثانية .. لكن تبدأ ثانية لأي سبب ، وتذكرت عندما أدار محرك السيارة أنه لم يجبرها على قبول دعوته وإنها معه الآن بإرادتها ..

وخلال الطريق قال بعض التعليقات عن الريف المحيط بالمنزل ، فاستمعت بود.

وقالت محاولة تقليده بالمناقشة العادية :

– « إن المنزل شيء مثير بالنسبة لليو .. لقد قال لي إنه أحبه في نفس اللحظة التي وقعت عيناه عليه » .

– « نعم . رغم كل دهاء ليو في أمور العمل ، إلا أنه رومانسي القلب .. والناس أحيانا يستغلون ذلك»

هل كلامه تلميح أنها ربما تحاول القيام بذلك ؟ نظرت إليه بحذر ، كان يرتكز على القيادة ، ويبدو طرف وجهه قاسيا داكنا ، واكتشفت أنه لم تره مبتسما بدفء حقيقي أبدا ، فأحزنها اكتشافها .

كان المطعم على مسافة قريبة كما قال لوك . موقف السيارات ممتلىء تقريبا . وسمعت ناتاشا عندما خرجت من السيارة خرير النهر مندمجا مع أصوات الناس .

– « من الممكن أن نتناول العشاء خارجا ... في الهواء لاطلق »

قال لوك وهو يقودها عبر موقف السيارات ، وتابع :

– « لكن من المريح أن ندخل فالجو أقل رومانسية »

وجهت إليه ناتاشا نظرة حذر مرة أخرى ، ولم يكن هناك شيء يقرأ في تعابيره . وأجابته :

– « مم .. على أي حال سيلسعنا الذباب حتى الموت إذا جلسنا خارجا »

كان المطعم صغيرا ذا سقف منخفض ، فرشه مريح وجميل رغم قدمه . ونظرت بإعجاب تتفحص ما حولها . رفضت ناتاشا اقتراح لوك بتناول شراب في بار المطعم ، فقادهما النادل بسرعة إلى طاولتهما . أعجبت ناتاشا بمكان الطاولة فهي تطل على النهر وبعيدة عن مشد الناس الذين يأكلون خارجا . تفحصت قائمة اطعام ، وهي تلاحظ أن لوك قد جذب نظرات أغلب النساء الموجودات في المطعم . إنها لا تلومهن . فلوك جيد المظهر ، وهي نفسها تشترك معهن في سرعة تأثرها بذلك .

كان النازل لا يزال يحوم حولهما ، فأعادت نظرها إلى قائمة الطعام واختارت طبقا من سمك الترويت والسلمون .

« سآخذ نفس الطبق » . قال لوك للنادل ، وسأل ناتاشا إذا كانت ترغب بأي شراب .

هزت رأسها نفياً فهي غير معتادة على الشراب . وقال لوك للنادل :

– « إذن مياه معدنية لضيفتي » وطلب لنفسه زجاجة من الشراب .

تشعر وهي معه الآن بخجل مضحك ، تشعر وكأنها مراهقة ، رغم تناولها الطعام ولمرات عديدة في فلورنسا مع بعض الرجال الذين لم يكفوا عن مغازلتها ، لكنها لم تحس بهم كما تحس بلوك .

– « حدثيني عن عملكِ .. وكيف أصبحت مهتمة به »

تحدثت بتلقائية .. كم من المبهج أن يركز اهتمامه عليها ، وأن يتناقشا في المجال الذي يشتركان بالاهتمام به وإن كان في مستويات مختلفة .

وسألته قائلة :

– « ماذا عنك ؟ أعرف أنك سافرت كثيرا قبل أن تبدأ الرسم »

لم تقل له كيف عرفت ذلك . وكيف أن إيما تحدثت عن سلوكه وأسلوب حياته بشكل لاذع وقاس جدا ، وعارضها بفتور متجاهلا أسلوبها اللبق :

– « لم أسافر .. بل شققت طريق حول العالم . لقد فهمت من ملاحظاتك عني خلال اليوم ، بأن شخصاً ما قد زودكِ بتاريخ حياتي .. أو على الأقل بالوجوه الأقل تشريفا »

أمسكت ناتاشا قطعة من الخبز ويداها ترتجفان لي تخفي كربها ، فأصبحت فتاتا ناعما .

– « إنني أسفة » . أعتذرت بنعومة . « كان عليّ ألا أقول ما سبق وقلته »

– « لا تعتذري فلكي كل الحق في التعبير عن مشاعرك وأفكارك . لا أحد يحب الاعتراف بأوجه شخصيته ، وربما لا أوافق مع كل اتهاماتك لحب ، لكن بالتأكيد هنالك الكثير من الحقيقة فيهم تجعلني .. »

توقف فجأة وغاب اللون عن وجهه وهو يحدق بشخص ما بعيد عن نظر ناتاشا . فلم تستطع أن تمنع نفسها من الالتفات حولها كي تعرف ما الذي سبب تلك الصدمة التي غيرت مظهره .

ورأت رجلا وامرأة يتعشيان في طاولة تبعد بضعة أقدام عنهما . كان الرجل فضي الشعر تبدو ملابسه مرتفعة الثمن ، أما المرأة فهي أصغر منه عمرا لكنها ليست شابة . ربما كانت في حوالي الخمسين إلا إذا كانت بشرتها المشدودة جدا مبضع جراح . تفحصتهما ناتاشا بشكل مباشر لكن لن تعرف ما الذي سبب هذا التأثر العميق في لوك . أما ملابس المرأة فقد كانت لا تناسب

سنها ، بل تناسب عمر ناتاشا . وضحكتها عالية جدا كما أن تركيزها على شريكها يدل على يأس أكثر من بهجة .. لكن ما الذي جعل لوك يبدو وكأنه قد شاهد شيئا ؟ لم تكن لديها أية فكرة .

وعندما نظرت إليه ثانية ، رأته يرفع كأس الشراب إلى فمه ويفرغ محتوياتها . كانت يداه ترتجفان قليلا وحاولت ناتاشا منع الدهشة التي قفزت إلى شفتيها .

بالكاد لامس طبقه ، ورأته يفرغ ما تبقى من زجاجة الشراب ، وخلال الوجبة أخذ يتحدث معها ويوجه حديثا لكنها كانت مرتبكة ، فقد كان اهتمامه الحقيقي منصبا على الرجل والمرأة الجالسين خلفها وتاقت كي تسأله ما الأمر لكنها لم تقدر .

بعد نهاية الوجبة رفضت تناول الحلوى . وطلب لوك لنفسه كأسا أخر من الشراب . ولكي تشاركه طلبت لنفسها فنجان قهوة.

وعندما نهضا أخيرا لمغادرة المطعم شعرت بالارتياح . فقد كانت وكأنها تحبس أنفاسها بانتظار حدوث شيء غير سعيد . ونظرت إلى لوك فرأته لم يتأثر بما شرب . لقد رأت بالتأكيد رجالا يشربون أكثر مما شربه لوك الليلة ، ورغم ذلك يبقون متزنين وغير ثملين .

ولاحظت وهما في طريقهما إلى السيارة أن أفكار ومشاعر لوك بدت وقد ازدادت تعمقا وكأن ناتاشا غير موجودة . لماذا تشعر بأنها مُهملة .. ؟ لقد أتيا لتناول العشاء وكأنهما صديقان مؤقتان جمعتهما الظروف معاً . وقد عاملها لوك بكل لطف واحترام، أما الآن فهو مشغول البال أليس من الغباء أن تتمنى شيئا شخصيا أكثر ...

وقف لوك أمام باب السيارة وقطب قائلا :

– « من الأفضل أن تقودي أنت .. إذا لم تمانعي بالطبع »

– « إطلاقا » . أكدت له .

ومما زاد في سهولة الأمر أن السيارة تشبه سيارة والدها التي سبق وقادتها عدة مرات .

أعطاها لوك المفاتيح وذهب إلى الباب المقابل . وشعرت بأنها قد أخطأت في الحكم عليه قبلا . لقد حسبت فيما مضى بأنه رجل يُصر دائما أن يكون المسيطر على نفسه وعلى الآخرين . وطلبه قيادة السيارة يؤكد على أنه ليس كما حسبت أبدا .

عبست قليلا وهي تجلس خلف المقود . وجلس لوك جانبها ووضع حزام المقعد عليه . ولاحظت ناتاشا وهي تدير محرك

السيارة أنها كانت مخطئة عندما ظنت أن الشراب لم يؤثر عليه وسمعته يقول بغموض :

– « إنني أسف لذلك .. تباً لهذا الشراب فهو أقوى مما هو عليه عادة ، أو أن قدرتي قد خفت قليلا »

وفرك جبهته وكأنها تؤلمه .. وأصبحت متأكدة أن المسألة تتعلق بالشخصين اللذين استحوذا على اهتمامه لكنها لم تقل أي شيء.. وأخذت الطريق المؤدي إلى منزل ليو .. وشعرت بالسعادة فقد كانت سيارة سهلة القيادة بالمقارنة مع سيارتها العادية ..

جلس لوك صامتا يحدق عبر النافذة وهو غارق في أفكاره .. لا شك بأنها أفكار غير مفرحة . فكرت ناتاشا وهي توقف السيارة في موقف المنزل .

خرجت من السيارة وجسمها متصل من التوتر . وكأن عضلاتها مقيدة بضغط خارجي .

دخلا المنزل معا . وشعرت ناتاشا ببرودة القاعة ترتطم ببشرتها الدافئة مما جعلها ترتجف . واقترحت قائلة :

– « سأذهب لأحضر لنفسي فنجان قهوة ، فهل ترغب أنت أيضا »

– « كي تجعليني صاحيا ؟ » . أجاب لوك بسخرية . ثم عبس فجأة واعتذر قائلا : « إنني أسف . نعم . فالقهوة فكرة جيدة » .

تبعها إلى المطبخ . وشعرت بقوته وقامته تلاحقها . أدارت مفتاح الكهرباء وهي تفكر في هذا المكان غير الرومانسي ستكون قادرة على طرد الأفكار والدوافع التي تقلقها .. هنا .. بعيدا عن الظلمة الخفيفة خارجا بإمكانها أن تبعد عن ذهنها تلك الذكريات عن لوك وهو يقترب منها .. ويضع يديه حولها ... بدأت ترتعد قليلا وشعرت بيأس لأنها لم تجد في نفسها القوة على معاملته وكأنه أحد معارفها ، لذلك قالت بسرعة :

– « لم أشكرك على العشاء .. لقد كان لطفاً منك حقيقة »

احست بتوتر حاد يستحوذ لدى سماعها جوابه وهو يقول بصوت أجش :

– « حقا ؟ هل تحاولين القول أنك استمتعت بالعشاء ؟ لا تزعجي نفسك في الكذب يا ناتاشا . لقد كان كارثة .. وكل ذلك بسبب تلك المرأة اللعينة ! »

لم تستطع ناتاشا الحراك ، ولم تجرؤ على الالتفات وتساءلت إذا كان سيخبرها بالشخصين اللذين أثرا فيه لهذا العمق .

– « إنها تشبهها كثيرا ، وربما كانت هي ، في الحقيقة لست أدري فهي تعيش في أمريكا الجنوبية مع زوجها الأخير »

– « زوجها » أحست ناتاشا أنها مُجبرة على السؤال ، لكنها تعرف في قرارة نفسها المرأة التي يقصد .

– « نعم ... زوجها ، أمي » أجابها لوك بصوت أجش مؤكدا صحة أفكارها . وتابع : « المرأة التي جعلتني أكره جنس النساء.. والتي تخلت عني وجعلت والدي يقتل نفسه »

لم تكن لناتاشا أي فكرة إذا كان الشراب هو الذي أفقده سيطرته الجديدة على نفسه ، أم كان منظر المرأة التي تشبه والدته كثيرا .. أثرّ فيها منظره وصوته كثيرا مما جعلها تقترب منه آليا وتطوق جسمه الصلب بذراعيها ، وتعانقه مُطمئنة وكأنه طفل متأذ.. ثم لمست شعر جبهته الناعم وهمست بابتهالٍ من الكلمات المريحة كالذي تستخدمه النساء لعلاج الألم منذ وقت طويل .

ليس لديها أي أفكار عن نفسها وعن مشاعرها ورغباتها كل ما تريده فقط هو رغبة عميقة بتقديم العون والمساعدة له .

إن عناق المرأة نو تأثير على الرجل . شرط أن يكون دون رغبة ودون أنانية ، بل أن يكون دعما حقيقياً من شخص لآخر .

– « أنتِ على حق بما قلته هذا الصباح إنني أعاقب جنسك بسببها»

شعرت به يرتعد قليلاً . إنه يتألم وعليها أن توفر له الراحة ، وقالت بنعومة :

– « لقد انتهى كل شيء لوك .. يجب أن تدع الماضي وآلامه يذهبان بعيدا ، وتوقف عن تعذيب نفسك فهي لم تكن غلطتك »

إنها تأسف عليه وعلى كل الأطفال الذين يتعرضون للاضطرابات بسبب تعقيدات عواطف الكبار ، مما يجعلهم يعتقدون أن فيهم شيئا مما جعل والديهم يتخلون عنهم . كم هي محظوظة .. فزواج والديها ناجح تماما ، ولديها الطمأنينة المنزلية التي يفتقدها لوك .

وأصرت بإلحاح قائلة :

– « إنها لم تكن غلطتك »

وتجاهلت مقاومته لنفسه ، ولرغبته الدفينة وتابعت قائلة :

– « مهما كان السبب الذي جعل والدتك تذهب ، فهو حصل

بسبب حاجاتها ومشاعرها لوك .. يوجد نساء تحتل رغباتهن المرتبة العليا ويعتبرنها أكثر أهمية من عهود الزواج ، وربما أكثر من أهمية أطفالهن .. لذلك لا يمكن أن تلوم نفسك لأن والدتك .. واحدة من هؤلاء النساء »

ارتعد قليلا ثم قال بمرارة :

– « إذن ماذا عليّ أن أفعل ؟ أن أتقبل الحقيقة بأنها لا تحبني ؟

فأجابته ناتاشا بثبات :

– « إذا استطعت ... لأجلك أنت فقط »

شعرت به يبتعد عنه وكأنه يطرد كلماتها وقال بصوت أقوى وأكثر سخرية :

– « ما الذي تحاولين القيام به ناتاشا ؟ هل تقومين بلعب دور عالم النفس الهاوي ؟ حسنا ، أنت لم تقولي لي أي شيء لا أعرفه »

بدأ بإبعادها عنه ففقدت توازنها قليلاً وهوَت عليه ، أمسكها

www.elromancia.com

مباشرة وأوقفها بثبات .. نظر إليها مباشرة فبدأ قلبها ينبض بشكل غريب .

وعرفت أنه سيقبلها .. وعرفت أنه لا شيء سيوقفه عند ذلك .

– ناتاشا ، لفظ إسمها بنعومة وبطء . وشعرت بوخز خفيف في عمودها الفقري .

الفصل العاشر

أخذت ناتاشا تقبله ثم اكتشفت فجأة إلى ماذا تفعل ، وإلى ماذا تدعوه وحاولت إبعاد نفسها عنه لكنه أوقفها وشبك إحدى يديه في شعرها وامتدت اليد الأخرى على ظهرها . مانعا إياها من أي حركة تقوم بها لمحاولة التملص بعيدا عنه ... إنها تتوق إلى هذه المودة والألفة منذ مدة .. لقد ذهبت أحلامها ، وها هي الآن تشر بقربه حقيقة منها . وأصدرت أنينا خافتا ، وبتهور وطيش التصقت به ... ارتجفت قليلا ليس من الخوف ، بل لأنها من الأسهل لها إبعاده خارج حياتها وقلبها .. فهي ببساطة ترغبه الآن وبن يلبث أن تنساه . فكيف تلقي باحترامها لنفسها ، بكبريائها ، ومعتقداتها الأخلاقية وراء ظهرها ؟ ..

إنها أحبته .. وستحبه دائما ، أما شعوره ناحيتها فهو مجرد رغبة ، وشعرت بشيء كالمخدر جعلها تبعد هذه الأفكار عن رأسها.

حدق بها للحظة ، ورأت عدم التصديق ثم الغضب يزيدان من قتامة عينيه ، فخطت آليا للوراء .. لقد أدركت أنهما سيكونان وللمرة الثانية خصمين وليسا حبيبين .

ورد عليها بشكل لاذع :

- « أظن أنك تقصدين بأنك لا تريدين . وليس لا تستطيعين.. أنت دفعتيني لذلك ناتاشا إنه غباء مني اعتقادي بأنك فوق هذا النوع من الألعاب .. كان يجب أن أحزر أنك وتحت كل هذا الحنان الناعم لا تختلفين أبدا عن أي من بنات جنسك »

وتابع وهو يراقبها والسخرية في عينيه :

- « أوه .. إنك آمنة تماما . لن أفرض نفس عليك إذا كان هذا ما تظنينه أو تريدينه »

ثم أضاف بوحشية وقشوة : « لا أستطيع الافتراض - حتى ولو كنت أريد - كيف يمكن أن تموت الرغبة بسهولة وأن تتحطم »

تركها واقفة بألم وصمت وعدم تصديق ومشى بعيدا عنها ثم سمعته يغلق الباب خلفه ..

حدقت كالمخدرة بما حولها في المطبخ وهي ترمّش بعينيها في الضوء القوي وركزت انتباهها على ملابسها المشعثة فوضعت يدها آليا لتصلح من شأنها بينما عقلها يفكر بما حدث ...

حاولت أن تقول لنفسها بأن ما حدث أفضل لها لإنها ستكون أقل صدمة وألما ...

قطع نومها المتقطع صوت محرك سيارة .. وعندما نهضت في الصباح ونزلت إلى الطابق السفلي اكتشفت أن لوك قد غادر وإن الصوت الذي سمعته هو صوت محرك سيارته .

وحاولت إقناع نفسها بأنها في ظروف كهذه لا تستطيع مواجهته بإتزان ورباطة جأش .. وأحست بحرارة بشرتها ترتفع عندما تذكرت كيف جعلها تحس وتشعر .. إنه على حق في غضبه، كان عليها ألا تدع الأمر يتطور وأن تخبره .. توقفه ..

لكن ضعفها لا يبرر ..... الكلي لبنات جنسها ..

إنها تدرك بأن إهمال أمه له ثم انتحار أبيه كانا تجربة مريرة بالنسبة لطفل في بداية دخول طور الرجولة .. لكن بالتأكيد يجب أن يعرف عندما أصبح في سن الرشد ، بأن النساء لسن متشابهين كما أن الرجال ليسوا متشابهين . إنه يقول إن كل

النساء يشبهن والدته كي يحمي نفسه من ألم إضافي إذا ما أحب امرأة ما .

وأحست ناتاشا أن لو قد أحب والدته – بالرغم من أنه لم يقل ذلك – ولذلك اعتبر هجرانها له من أسوأ الأمر . واعتقد أن ابتعاده عن النساء سيجعله في أمان .

ما حدث لم يكن غلطته .. بل غلطتها لأنها أحبته .

أما غلطته وغلطتهما معا أنهما يعرفان كم هي متناقضة معتقداتهما وحاجتهما ، ورغم ذلك فقد سمحا لنفسيهما بأن تجرهما الرغبة التي تقود إلى طريق واحد فقط ..

نعم من الأفضل أنه غادر .. تجولت في الصالة وهي تلمس الأشياء التي تعرف بأنه قد لمسها من قبل كعلب اللومات ، واللحوم.. وتتخيل يديه تتحركان عليها .

اهتزت قليلا ، عليها أن تغلق عقلها وجسدها في وجهه وأن تنسى وجوده للأبد ..

عاد ليو وعمتها ، وهي لا تزال تعمل .. كانا يبدوان في غاية السعادة . ولم تدهش ناتاشا عندما أعلن ليو بفخر أن هيلين قد وافقت على الزواج منه .

– « بالطبع سيتزوجني لأنه سيحصل على بستاني ومدبرة منزل في آن واحد »

قالت هيلين كي تضايق ليو ، لكن نظرة عينيها وهي تنظر إليه كانت مناقضة لكل كلمة قالتها .. من الواضح تماما أنهما يحبان بعضهما بعمق وإخلاص .

نظرت ناتاشا بعيدا عنها بسبب دموع الضعف والأنانية التي تغطي عينيها.

وأصر ليو على فتح زجاجة شمبانيا كي يشرب الجميع نخب الخطوبة .. ورغم تظاهرها بالفرح إلا أن ناتاشا هربت إلى غرفتها في أول لحظة ..

كم هي أنانية .. كيف تسمح لمشاعرها أن تظلل على متعة غيرها .. إنها تأمل ألا يلاحظ أحدهما كم كان من الصعب عليها أن تبتسم وتشاركهما سعادتهما، بالرغم من أنها وبكل صدق سعيدة لأجلهما .

وسمعت ناتاشا صوت عمتها يدق على الباب وهي تنادي باسمها وسمحت لها بالدخول .

وسألتها هيلين مباشرة :

– « ما الأمر ؟ هل أستطيع أن أحزر ؟ لقد أخبرني ليو الآن، بأن لوك تمبلكومب كان هنا بعد عطلة نهاية الأسبوع . ويعتقد بأنه كان على عجلة من أمره عندما غادر فقد كان من المفروض أن يعلق اللوحات في الصالة .. وكل ما فعله هو إخراجها من الصناديق .. ربما استدعي لعمل عاجل في لندن فلدى لوك مهمة لوعمل لوحة لأحد أفراد الأسرة المالكة .

– « لقد غادر الليلة الماضية » قالت ناتاشا وهي غير قادرة على عدم إظهار حزنها .

ثم أخبرت عمتها دفعة واحدة عن حبها للوك ، واكتشافها لكرهه وازدرائة لبنات جنسها واعتقاده أنها مثله .. ذات تجربة ، وأنها ترضى بدخول علاقة معه لا معنى له .

وتابعت قائلة :

– « حتى ولو كنت مثلما يعتقد عني ، فإن ذلك لا يغير أي شيء لأنني لا أريده بتلك الشروط »

ارتعدت قليلا ، فكم كان سهلا عليها أن تتخلى ولو بشكل بسيط عن معتقداتها ، وأن تسمح له بالاقتراب منها وقالت لهيلين بألم :

– « إنه حب مُهلك للذات .. إنها غلطتي . لقد سمحت أن يعتقد .. أن يصدق .. »

وقالت عمتها بلطف :

– « ناتاشا ، إنه رجل نو خبرة ولابد أنه قد عرف .. ولاحظ »

– « لا » ازدردت ناتاشا .

– « عزيزتي . أنني آسفة . لو كان بإمكاني القيام بأي شيء »

– « لا يوجد ما يمكنك القيام به » . قالت ناتاشا وهي تعض بقوة على شفتها السفلى . « سأعتاد على ما حدث .. فلم يطلب مني أحد أن أحب لوك ، حتى لوك نفسه » . وتابعت بألم : « كنت أعلم من البداية ما الذي يريده مني . وقلت لنفسي إنني سأعالج الموضوع ، لكن ذلك لم يكن صحيحا ، نعم إنه شيء مضحك وسخيف . خصوصا إنني كنت دائما فخورة بنفسي وبقدرتي في السيطرة على عواطفي » .

أشارت عمتها بنعومة :

www.elromancia.com

– « جميعنا نصبح مرهفي الشعور عندما نحب .. الرجال كالنساء .. يبدو لي أن لوك يخاف حتى الموت إذا ما سمح لنفسه أن يحب »

فقالت ناتاشا :

– « من السهل جدا إيجاد المبررات له . وبأن هجر والدته له هو سبب تصرفاته وكأنه لا يزال طفلا »

– « أوافق معك . ولأكون صريحة معك يا عزيزتي .. فحتى لو قال إنه يهتم بك فيجب ألا تورطي نفسك معه ... »

أجابتها ناتاشا بسخرية :

– « لا أمل في ذلك .. فربما قرر منذ الآن أن ينسى أنني موجودة .. ثم ، لماذا سيتذكر ؟ »

تنهدت عمتها ، وربتت على يدها مواسية :

– « لو كان بإمكاني أنا وليو القيام بشيء ما ؟ »

وأكدت لها ناتاشا :

– « لا شيء ، إلا أن تسامحيني لأنني كنت أنانية . إننس مسرورة جدا لخطوبتك . متى سيكون الزفاف ؟ »

– « في شهر كانون الأول . لأن المنزل سينتهي في ذلك الوقت . يريد ليو أن يكون حفل الزفاف مميزا . أما أنا فأعترف أنني أحب أن أتزوج في الكنيسة التي تزوجت فيها سابقا ، إضافة إلى أن والدتك لن تغفر لي إذا اخترت القيام باحتفال هادىء . فهي وليو يحبان الاستماع في مناسبة كهذه .

ضحكت ناتاشا وسألتها :

– « وهل عرفت إيما ؟ »

– « لا ، سأتصل بها هاتفيا لأنقل إليها الخبر . أما أن يسمح عمل ريتشارد في الأبريشة الجديدة ، بقدومهما لحضور الحفل الذي أخترنا أن يكون في الأسبوع الأول من كانون الأول »

– « مم .. حسنا ، إذا كان ليو يتوقع افتتاح الفندق في عيد الميلاد ، فمن الأفضل أن أذهب إلى فلورنسا لأطلب الأقمشة التي سنحتاجها » ابتسمت لعمتها ابتسامة مشرقة وتابعت قائلة :

– « إذا أردت مراجعة المخططات الت قمتُ بها ، فأختار... »

– « يالسموات ، لا » أكدت لها عمتها . « إنها حقل عملك أنتِ يا ناتاشا وأعرف أن ما تختارين سيكون صحيحا تماما وكما تعلمين فإن ليو مُعجب بعملك جدا » .

– « كنت محظوظة بحصولي على مهمة رائعة كهذه » قالت ناتاشا ، واكفهر وجهها عندما تذكرت اتهامات لوك لها والتي ألمتها بعمق . وقد اعتادت على الألم ، ومع ذلك فإنها كلما تذكرت ذلك وبدأت تشعر بألم حاد ينتزع قلبها بقوة .

غادرت ناتاشا بعد أسبوعين إلى فلورنسا دون أن تسمع أي كلمة عن لوك ، ولم تكن تتوقع حصول ذلك أذ لا أمل .. لكنها بقرارة نفسها كانت تأمل بحدوث شيء ما .. فهل هي غير عاقلة ؟

لقد ذهبت إلى فلورنسا ومعها ملاحظات مفصلة عن الأقمشة التي تحتاجها لمنزل ليو ، إضافة إلى رسائل من والدها لأصحابه هناك . لا شك بأن كل وقتها سيكون مليئا بالعمل وتأمل أن يكون ذلك هو الدواء السحري الذي تحتاجه كي تتوقف عن التفكير بلوك، وعن الاشتياق له ، والألم لفراقه .

علقت والدتها قبل سفرها قائلة :

– « عزيزتي ، لقد أصبحت نحيلة جدا وتبدين منهكة أليس كذلك يا هيلين ؟ »

رأت ناتاشا عمتها تنظر إليها من فوق رأس والدتها وهي تقول كي تنقذها بطريقة ذكية :

– « من المتوقع ذلك لأنها تجهد نفسها في العمل »

وتابعت مغيرة مجرى الحديث :

– « آمل أن أكون مخطئة ، لكن أعتقد أن إيما ستجعلني جدة ، فلقد لمحت إلى ذلك في رسالتها الأخيرة »

اعترضت والدة ناتاشا قائلة :

– « ليس بهذه السرعة بالتأكيد .. كنت أظن أن إيما وريتشارد ينويان الانتظار فهذا ما وضحه ريتشارد »

– « يبدو أن لإيما أفكاراً أخرى ..فمتى كانت تريد الانتظار الانتظار لأي شيء » قالت هيلين بجفاف. إيما سيكون لها طفل .. ليس أي طفل ، بل طفل من الرجل الذي تحب .. تحرك شيء داخل ناتاشا ، ليس الحسد بالطبع ، لكن توق دون أمل لشيء تعرف تماما أنه لن يكون ..

كانت تفكر بلوك عندما حطت الطائرة في فلورنا ومتى توقفت عن التفكير به ؟ لقد أصبح هاجسا يسيطر عليها ...

ورحب بها في فلورنسا فهي قدمت للتعامل معهم .. وأعجبوا بخبرتها ومعرفتها ، لقد كانت ابنة أبيها . كانت الدعوات إلى

www.elromancia.com

الغداء والعشاء توجه لها دائما . وكانت عائلات من تعاقدت معهم ترحب بها ويعاملونها كأنها قريبة لهم .

إنها جميلة وشابة . لكنها حزينة قليلاً ، وهي شيء لاحظه الإيطاليون بخاصة الفلورنسيون فم مشهورون بميراثهم المتوسطي في العواطف والحنان ...

وفي إحدى المرات في الصالة في منزل أحد معارف والدها القدماء ، مجلة نصف مفتوحة لى الكنبة فذهبت تلتقطها ، ولفت نظرها مباشرة وجه لوك يحدق بها .

ألقت المجلة من يدها وكأنها احترقت وشحب وجهها ثم أحمر ، وغشيت عيناها عاطفة معينة ...

شاهدت مضيفتها - وهي أم لأربع بنات وصبي - ما حدث ، وأخذت ناتاشا بعيدا بحجة أنها ستريها بعض الستائر التي صنعتها بنفسها ، فحاولت ناتاشا أن تلم شتات نفسها وتبدو هادئة وطبيعية لكن عند مغادرتها المنزل وجدت نفسها بتهور تطلب أن تستعير المجلة ..

وفى غرفتها في الفندق أخذت تقرأ المقال بشوق وكأنه أكسير الحياة .. كان الكاتب يُطري على موهبة لوك الرسام ، ويلمح

بأنه قد تلقّى الآن الرعاية الملكية ، ثم سأل عدة أسئلة عن الرسم والفن ...

وبقيت ناتاشا طوال الليل تتخيل لوك ....

بقيت في فلورنسا لمدة شهر تقريبا .. عملت بجد إلى أن أكملت مهمتها وفقا لما خططت . كما أنها اكتشفت مصادر جديدة لتزويدها بالأقمشة ... وواست نفسها بأنها ، وإن لم تكن ناجحة في حياتها العاطفية ، فهي على الأقل ناجحة جدا في عملها .

عادت من سفرها في يوم بارد . ووجدت بانتظارها رسالة من ليو يطلب منها الحضور إلى العزبة فقد وصلت أول دفعة من ستائر غرف النوم من مصنع والدها ، ويريد أن تكون ناتاشا موجودة كي تشرف على مهمة تعليقها .

أثارتها هذه الأخبار .. وأدهشها أنه قد مضى إلى الآن حوالي ستة أسابيع تقريبا منذ أن رأت لوك لآخر مرة .. ستة أسابيع لاتزال في ذاكرتها وكأنها الأمس .. لماذا لا تقوم بما يفيدها .. وهو أن تمحوه من ذاكرتها وتنسى معرفتها به ؟ .. لأنها حمقاء ..

قادت سيارتها إلى ستونلوفل وقد علمت من والدتها بأن عمتها وليو هناك .. فليو يراقب سير العمل في جناحه الخاص ، وعمتها مشغولة بإعادة تصميم وزراعة الحدائق .. شعرت براحة الآن لن تكون في المنزل وحدها حيث ستقع في مصيدة التفكير والحلم .

وعندما وصلت وجدت عمتها تجلس ترشف فنجانا من الشاي في استراحة قصيرة من الملل وحدثتها بحماس عما تعتزم إنجازه.. لا شيء يقلل من حماس هيلين أو يحطم معنوياتها حتى هذا الطقس البارد ..

– « ما إن يتوقف المطر – إذا توقف – سأريك الحدائق » قالت هيلين .

– « وحتى ذلك الوقت ، فساريك ما تمّ بالمنزل » قال ليو وهو يدخل الغرفة لينضم إليهما ..

فهمت ناتاشا وهي تتبع ليو وهيلين من غرفة إلى غرفة ، سعادة ليو بما تم إنجازه .. ما تبقى الآن هو اللمسات النهائية التي سيضيفها اختير ناتاشا للأقمشة ..

حبست ناتاشا أنفاسها عندما أصر ليو أن يريها الصالة ..

وإن قامت بخطوة للداخل حتى رأت أنها تبدو مختلفة كليا عما كانت عليه في المرة الأخيرة .

لم تستطع أن تخفي إعجابها بما حصل من تغيرات .. لقد شعرت بنفسها تعود إلى القرن السابع عشر .. وعلقت بصوت أجش :

– « إذن فقد عاد لوك »

– « نعم لقد كان هنا في الأسبوع الماضي ، في الحقيقة أنه.. » أجاب ليو وتوقف فجأة لنظرة التحذير من عيني هيلين . وقالت ناتاشا بأمانة وصدق :

– « إنه شيء رائع فعلا .. وعندما تصل الأقمشة والستائر ..».

وسألت عدة أسئلة عن اللوحات التي أثارت اهمامها فعرفت أن ليو قد جمعها منذ وقت طويل حتى قبل أن يحصل على المنزل. وقررت ألا تشير لاسم لوك ، أو أي تعليق أو استفسار عنه ..

قضى الجميع الأمسية يناقشون أمور حفل الذهاب .. واعتذرت ناتاشا مبكرة في الذهاب إلى غرفتها لأنها متعبة ومرهقة جدا .

وقالت لنفسها وهي تصعد غرفتها ، إنها سعيدة لأن لوك قد أنهى العمل في الصالة ولا خوف من عودته ولقائهما ثانية .. لكن ذلك لم يجعلها تشعر بارتياح أو يخفف من ثقل العبء الذي تحمله ...

الفصل الحادي عشر

قضت ناتاشا صباحا مليئا بالعمل في تهيئة وتعليق الستائر التي وصلت من إيطاليا . وأرسل فريق من الشركة كي يعمل تحت إشراف ناتاشا التي سبق لها وتعاملت معهم . وكانت الفتاة التي ترأسهم في عمر ناتاشا تقريبا ، سمراء جميلة ، ممتلئة القوام . وكما تعرف ناتاشا فإنها تفرق كثيرا في أحلام اليقظة وتميل لرؤية كل شيء بلون وردي .

قالت لناتاشا بحماس عندما انتهت من عملها :

– « لابد إنك مسرورة جدا للزفاف ، إنه شيء رومانسي ، أليس كذلك ؟ »

كانتا لوحدهما في الصالة والباب مفتوح ، ولم تلاحظ أي منهما الرجل الذي اقترب من الباب .

– « نعم . إنه كذلك » وافقتها ناتاشا .

www.elromancia.com

– « قال السيد روسنبرغ إن الزفاف سيقام في بلدتك . لا شك أن والدتك مبتهجة جدا »

ووافقتها ناتاشا قائلة :

– « نعم إنه ثاني زفاف في العائلة ، فقد تزوجت ابنة عمتي قبل عدة أشهر في هذا العام »

– « أعتقد أن لقاءكما صدفة شي في غاية الرومانسية ... »

توقفت وقد أحمرت خجلاً ، ثم بدت مرتبكة فجأة عندما حدقت في اتجاه الباب .

التفتت ناتاشا .. وشعرت بدوار عندما رأت لوك يقف عند الباب وهو ينظر إليها :

– « لوك .. »

لم تع أنها لفظت اسمه ولن تلحظ نظرة الحسد في عيني الفتاة الأخرى التي قالت بسرعة :

– « أوه ، ياللسموات ، لقد تذكرت بأنني قد وعدت جينيث بالقيام ببعض الملاحظات عما تريدينه هنا . وقد تركتُ دفتر الملاحظات في الطابق السفلي . سأذهب لإحضاره » .

بقيت ناتاشا تحدق بلوك وهو يفسح الطريق للفتاة ، ثم خطا داخل الغرفة وأغلق الباب خلفه .

كان يبدو مختلفا قليلا . فهو أنحل مما كان وشعرت برغبة أن تذهب إليه وتعانقه .

عيناه تتألقان بعنف متوهج وقلق وفمه ملتو من الغضب والازدراء . شعرت بقلبها يتوقف عن النبض مما جعلها مقطوعة الأنفاس وتشعر بدوار .

– «إذن ، فأنت ستتزوجين ليو . يجب ألا استغرب ذلك . لكنك خدعتني حقيقة يا ناتاشا . لقد كنت قد بدأت أصدق بأنك مختلفة وصادقة ، وأنك لا تكذبين أو تخدعين أبدا »

– « لم أكذب عليك » حاولت ناتاشا أن تقول لكنها شعرت بحنجرتها مسدودة من الصدمة والارتباك . ما الذي دعا لوك أن يظن بأنها ستتزوج ليو ؟

فتحت فمها لتصحح وتشرح له لكنها لم تستطع لقد كان غضبه يزداد مع كل كلمة يتفوه بها . وفكرت بأنها تشبه من يقل على حافة عاصفة . وتوهج وجهها من غضبه ومن افتراضه بأنها تحب شخصا آخر غيره .

– « ماذا ... ألا شيء تقولينه عن نفسك ؟ » قال لها عند نهاية شجبه واتهامه لها وتابع قائلا :

– « حسنا هل تعلمين ناتاشا لماذا أتيت اليوم ؟ لقد جئت كي أعتذر لك وأقول بأنك كنتِ على حق ، وكنت أنا على خطأ ، فقد كنت عفا أعاقب جنسك لغلطة أمي .. جئت أطلب منك أن نبدأ من جديد ، أن تعلميني شيئا من حنانك وكرمك ، وأن ننسى كل ما كان في السابق بيمما ، لكن ماذا وجدت ؟ لقد وجدت المرأة التي علمتني جديا ، المرأة التي جعلتني أؤمن بها بأنها شيء على الأقل لقد كانت أمي مخلصة في هجرانها . ولم تتظاهر .. »

كان يقف على بعد عدة ياردات منها . وعندما استدارت تجاهه أحست بدوار وركزت نظرها على وجهه اقترب منها بسرعة وأمسك بها بقسوة ولم يكن أمامها الوقت كي تهرب منه وهمس لها :

– « أنت تريديني .. لا تزالين تريديني »

حاولت التخلص منه لكن يداه قبضتا عليها وجذبها بقوة إليه فشعرت بغضبه ..

سمعته يتأوه بصوت متوحش غاضب ثم أمسك بإحكام على رقبتها وتخللت يده في شعرها .

شعرت بالصدمة في داخلها أو بالغضب الاحتقار لذاتها . لكنها أحست بالفخر والمجد قليلا فرغم ادعائه بأنه يكررها ويستخف بها إلا أنه لا يزال يزيدها ، واكتشفت أنه تحب ذلك .

يجب أن يؤلمها ما يقوم به ، لكنها عوضا عن ذلك وجدت نفسها تشعر بالسعادة ، وكأنها تعاقبة .

تؤلمه .. كيف تستطيع القيام بذلك ؟ هل لأنه ألمها ؟ هل هناك أي سبب حقيقي ؟ وجدت نفسها تعضه لا شعوريا أبعد فمه عن وجهها ركزت نظرها عليه فوجدت كدمة على ذقنه من آثار أسنانها ودمت يدها ولامستها آليا وعبست عندما رأت آثار دم على طرف إصبعها .

– « نعم ، أيتها القطة الصغيرة المتوحشة لقد فعلت قبلاتي » قال لوك بصوت أجش « وكلانا يعرف الآن أن بإمكاني أن ألقيك أرضا وأجعلك تصرخين من الفرح لقبلاتي »

شحبت ناتاشا لكنها رفضت أن تتأثر بكلماته وسمعت نفسها تقول بتحد وطيش :

– « إذن قم بذلك ، لكني أعدك يا لوك ، إنني لا أكون الوحيدة التي تصرخ من الفرح » .

رأت وجهه قد أصبح أبيض اللون ، حررها وخطا للخلف بعيدا عنها . لو رأته في مناسبة أخرى لابتسمت من نظرة الصدمة في عينيه ، لكنها الآن ترتعد وتشعر بالوهن .

– « يا إلهي ، أي نوع من النساء أنت ؟ هل يعلم ليو عن هذا .. عنا نحن ؟ لا تقولي لي بأنه جعلك تشعرين مثلما جعلتك أنا لأنني لن أصدق »

– « بالتأكيد إنني لا آمل بحدوث ذلك ، حيث أن ليو سيصبح زوجي يا سيد تمبلكومب »

التفتا إلى الصوت فوجدا هيلين تدخل الصالة . عبست ناتاشا قليلا وهي تسمع همسات التعجب وعدم التصديق تصدر من لوك .

– « أه ، هاأنت هنا لوك . هل وجدت ناتاشا ؟ »

دخل ليو الصالة أيضا . أصدرت ناتاشا أنينا واندفعت خارج الغرفة . لم تذهب لتختبىء في غرفتها ولا إلى سيارتها التي ستأخذها بعيدا عن لوك واتهاماته القاسية . فلم تكن بحالة تؤهلها

للقيادة . ستجد العزلة التي تلتمسها في الحديقة المهجورة التي لم تبدأ عمتها العمل فيها بعد .

كانت ممرات الحديقة رطبة من الأمطار التي هطلت مؤخرا ، والهواء منعشا محملا بأريج الورود المنبعثة على الجدران .

جلست على مقعد قديم خلف زاوية مليئة بالنباتات . وبقيت وحدها مدة ساعة أو أكثر ، ضغطت على أسنانها عندما سمعت صوت البوابة ، لاشك أن أحدهم قد قطع عليها خلوتها .

لكنها لم تقلق فلا شك بأن لوك قد غادر منذ فترة طويلة ، حاولت ألا تهتم بما قاله لها ، فلن تتغير الأمور إذا عرف بأنها ليست على علاقة بليو .

لقد قررت بأنها لن تقم بأي توضيح أو اعتذار ، ولماذا يجب أن تقوم بذلك؟ فهي لم تستطع تمييز الحقيقة مهما كان نوع العلاقة التي تريدها ، يجب أن تكون على أساس من الثقة المتبادلة لكي تنجح . لكن لوك لا يثق بها .

إن انفجاره وغضبه يمكت التغاضي عنه أو غفرانه لو كان لوك يحبها أو يؤلمه فكرة فقدانها .. لكن لوك لا يشعر بذلك ، إنه لا يحبها . وسمعت نفسها تقول بصوت مرتفع :

– « لوك لا يحبني »

– « خطأ يا ناتاشا .. لوك يحبك ، ليكن الله في عونه »

سمعت ناتاشا لوك يقول بتأوه .

وأدارت رأسها غير مصدقة ورأته يقف على أقل من ثلاثة أقدام بعيدا عنها ، يبدو منهوك القوى ، وكالولد المضحك في نفس الوقت .

– « لا . أرجوك .. دعيني أبقى واعتذر لك وأوضح . يعلم الله لو أنك بقيت مصغية إليّ من الآن إلى الأبد لما أمكنني التعبير عن اعتذاري لك . لقد قالت لي هيلين كل شيء »

قطبت وكأنها طفل يحاول أن يفهم ما يقوله الكبار وسألته :

– « كل شيء ؟ تعني أنها قالت لك بأنها ستتزوج ليو ؟ »

– « لقد قالت لي ذلك ، وقالت أكثر وأكثر . هل تمانعين إذا جلست هنا ؟»

جلس على المقعد قربها فابتعد إحساسها عنه .

– ناتاشا ، لماذا لم تخبريني كم كنت مخطئا بحقكِ ؟ لماذا جعلتيني أعتقد أنك .. »

– « بأنني ذات تجربة وخبرة .. هل تعرف لماذا لوك ؟ لكي أحمي إيما فقد كانت خائفة من أنك ستمنع ريتشارد من الزواج بها »

– « ماذا ؟ كيف استطيع القيام بذلك ؟ حتى ولو أردتُ فإن ريتشارد مفتون بها »

– « أنت نفسك أخبرتني أنهما ليسا مناسبين لبعض . وقد سمعت إيما تقول لوالدة ريتشارد أن الزفاف من الممكن أن يلغى »

– « أن تلغيه إيما ، وليس ريتشارد . أنظري .. لقد أخبرتني عمتك بكل شيء ، ولا شيء يُحبب إيما إليّ .. هل هي دون إحساس كي تضعك في موقف كذلك ، وأنت أيضا . ألم تلاحظي كم كنت في تلك الليلة ... »

– « كنت ماذا ؟ تحاول التغرير بي في حديقة منزل والدي ؟ » كان صوتها مليئا بالمرارة .

– « أنتِ لا تصدقيني ناتاشا . لقد أثرت في أكثر من امرأة قابلتها .. ولقد قابلت العديدات هل تعتقدين بأنني أتصرف كذلك مع كل امرأة ؟ »

– « لا أعرف ما الذي تحاول قوله لوك . لكن ذلك لا يهم .. أعتقد أنه من الأفضل لكلينا أن ننسى بأننا التقينا »

– « من الأفضل .. بالنسبة لمن ؟ بالتأكيد ليس بالنسبة لي .. إنني أريدك في حياتي يا ناتاشا »

– « حقاً ؟ حسنا لوك إنني لا أريدك كعدو وليس كصديق ، وبالتأكيد ليس كحبيب »

بدأت بالوقوف ، لكنها عندما سمعته يقول بالتماس :

« ولا حتى كزوج ؟ »

جلست مرة ثانية .

– « زوجي »

– « هذا ما جئت كي أقوله لك اليوم .. إنني أحبك وأود الزواج منك »

– « الزواج مني ؟ لكن .. »

– « إنني أحبك يا ناتاشا منذ اللحظة التي رأيتك فيها ، لكني حاربت ذلك كما يفعل كل الرجال . واستغرق ذلك وقتا طويلا. إن كل ما قلته عن خوفي وماضيي صحيح تماما . لقد كان خائفا

من الثقة .. ومن الحب إنني لا أزال ألوم والدتي لأنها لم تكبح جماح عواطفها .. لقد كنتِ محقة عندما قلتِ إن الحب عند بعض النساء أكثر أهمية من أطفالهن . ولسوء حظي فإن والدتي كانت إحداهن »

قالت ناتاشا بلطف وهي تضع يدها على ذراعه :

– « لكنها تبقى والدتك .. إنني متأكدة أنه مرت عليها أوقات عديدة وهي تتساءل عنك وتتمنى لو أنها كانت قد تصرفت بطريقة مختلفة . من المخيف بالنسبة لأي امرأة أن تعاني التمزق بين حبها وطفلها . ولابد أنها فكرت بأنه من الأفضل لك أن تبقى مع والدك »

– « إذن ذلك ليس ذات أهمية الآن ، يالغبائي الشديد عندما اعتقدت أنك ستتزوجين ليو ، هل تصدقيني إذا قلت لك إنني لشدة غيرتي قلتُ ما قلت .. لقد علمت من ليو أنك رجعت هنا فأتيت وراءك أملا بأنك ستصغين إليّ ، وأنك لم تتعرفي على شخص غيري ، وإن الوقت لم يفت ، نزلت الصالة وسمعتك تناقشين أمور الزفاف .. تخيلي نفسك مكاني ناتاشا .. كيف تتصرفين ؟

إن مجرد تخليها بأن لوك سيتزوج أخرى يجعل قليها يخفق من الألم .

– « كلانا متشابهتان في عدة وجوه . فنحن عاطفيان ، مميزان ، نخفي ما نشعر به تحت قناع من ضبط النفس والبرودة. إنني أحبك يا ناتاشا .. لكني لا أستطيع أن أجعلك تقبلين هذا الحب أو تقبلين بي . إنني لا أتكلم عن إنجذابي ورغبتي فيك ، بل عن وعد طوال الحياة ، عن علاقة على أساس الحب والثقة ومئات الأشياء الأخرى وليس على أساس الرغبة فقط . أحتاج لك يا ناتاشا كي تعلميني كيف أحب الآخرين ، وكيف أظهر الحنان وكيف أسامح . هل تساعدينني على ذلك يا عزيزتي ؟ هل تسامحيني ، هل تثقين بي ، هل تحبينني ؟

حتى ولو لم تكن تحبة ، فقد لامست كلماته وعاطفته الصادقة أوتار قلبها . ابتسمت لنفسها بالسر فهي تحبه إنه ليس لوك الذي التقت به أول مرة .. لوك هذا الذي يصغي للآخرين ، الذي يعترف بسوء ظنه واخطائه .. لوك هذا .. الذي قال أنه يحبها .. لوك الجديد هو الذي ستشاركه حياته ، وأجابته قائله :

– « تعرف إنني أستطيع .. لكن لن يكون الأمر سهلا .. إنني أحبك يا لوك ، وإذا كنت تحبني .. »

– « إنني أحبك ، لقد اكتشفت ذلك مؤخرا .. وعندما .. »

– « متى اكتشفت أنك تحبني ؟ »

– « في تلك الليلة عندما خرجنا للعشاء معا . كنت أعرف إنني أحبك قبل ذلك ، لكنني في تلك الليلة اعترفتُ بذلك .. هل أنا أحلم الآن ؟ »

♥ ♥ ♥

– « أمل ألا يكون هذا حلما »

– « ذلك ما قلته في نفس اليوم الذي قلت لي أنك تحبني » قالت ناتاشا لزوجها وهي تبتسم له .

كانا في ڤيلا فخمة على البحر الكاريبي استأجرها لوك لقضاء شهر العسل .

أمسك لوك يد ناتاشا وقبل أصابعها ببطء وهو يراقب السعادة في عينها وقال لها :

– « عندما أعطتني هيلين محاضرة بليغة عن كوني مخطئا بحقك وإنني أول شخص في حياتك ، كنت أحبك قبل أن أعرف ذلك » .

www.elromancia.com

كورت ناتاشا يدها وهي تتظاهر بأنها ستضربه .. ودخلا في صراع محبب خرجت منه وهي تضحك مقطوعة الأنفاس .

- « سيفوتنا الغداء مرة ثانية » حذرته وهو يقبلها

- « ومن يبالي بالطعام ؟ »

- « ضمني إليك لوك » همست ناتاشا « ولا تتركني أبدا »

- « أبدا ... أنت ملكي الآن يا ناتاشا .. وستبقين ملكي للأبد وإلى ما بعد .. »

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة